السبت 3 حزيران 2023
العدد 4929 السنة السابعة عشرة
Samedi 3 Juin 2023 no 4929 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

# الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

## كلمات

ليلى أبو لغد
**حروب الغرب وكذبة إنقاذ المرأة المسلمة**

### بري ينتظر اتصالات الراعي قبل قرار تحديد جلسة الانتخابات [3]

# أزعور مرشح مواجهة جديد

# تسوناميتعديات يبتلع شاطئ البترون

[4 ـ 5]

(هيثم الموسوي)

**الحدث**

زحمة إسرائيلية في واشنطن: **«اتفاق الضرورة» مع طهران «كارثي»**

8

**سوريا**

اجتماع جنيف المعارض: **محاولة للملمة الشتات**

8

**البلاد**

**59 عاماً على «منظمة التحرير»: عن التغيّرات الثلاثة الكبرى**

[12]

**نحو تحرّر النضالين الأسود والفلسطيني**

[14]

في الواجهة

# لا جلسة انتخاب في ظلّ مرشحيّ تحدٍّ

في خلال ساعات، إذا صحّت التسريبات، يصبح انتخاب الرئيس أمام مرشحيْن اثنين جديين من الصعب تصوّر سهولة انتخاب احدهما دونما إشعار الاخر ومَن يقف وراءه بما هو اسوأ من هزمه. الصعب الاصعب الذي يدور من حول الوصول إلى الانتخاب، امتلاك الثنائي الشيعي مفتاحيْه: الدعوة إلى الجلسة وميثاقية النصاب

ايهما الاكثر كلفة لدى حزب الله: التسليم بخسارة فرنجية ام شغور لا احد يعرف اخر خيطه؟ (هيثم الموسوي)

**نقولا ناصيف**

دخل انتخاب الرئيس في المأزق الأسوأ والأكثر انغلاقاً، حدة المواجهة بين ثنائيّ شيعي ومسيحي واستعارها على نحو غير مسبوق، أحالها أكثر من منافسة. كلا الطرفيْن يدخل المواجهة هذه على أنها أبعد من انتخاب رئيس وأهم منه. تدور من حول مَن يهزم الآخر ويكسر رأسه. المقلق فيها أنها تتخذ بُعداً طائفياً خطيراً يراد أن ينتهي بغلبة فريق على آخر بعدما تبقنا من أن امتلاك كل منهما فيتو التعطيل وإعطاب نصاب الدورة الثانية لجلسة الانتخاب، سيجعل من المستبعد الوصول إليها سلفاً.

ما بات عليه مسار الاستحقاق هو الآتي:

1. لا أحد في وارد التغيّب عن جلسة الانتخاب متى صار إلى الدعوة إليها. ما يفيض عن الثلثيْن سيحضر،

> **لا جلسة انتخاب بين مرشحيْن يُنظر إلى فوز احدهما على انه هزيمة لطائفة الفريق الآخر**

ومن ثمّ الدورة الأولى من الاقتراع تنتهي بعدم تمكن أي من المرشحيْن المعلنيْن الوزيرين السابقيْن سليمان فرنجية وجهاد أزعور من الحصول على 86 صوتاً على الأقل. بعدذاك، لا أحد يسعه التكهن بالخطوة التالية الموجبة وهي الدورة الثانية، المقرّرة فوز أحدهما. كلا الثنائييْن يصر على أن مرشحه سيفوز بالأكثرية المطلقة المتوافرة لديه. كلاهما يبالغان أيضاً في هذا التصوّر. إذا قُيّض لجلسة الانتخاب الاستمرار. إذ لحظتذاك تدخل على التصويت المفاجأة داخل الجلسة ومن خارج البرلمان. بل من المبالغة الاعتقاد أن تعذّر حصول أي من المرشحيْن على الأكثرية المطلقة في الدورة الثانية سيتيح عقد جلسات اقتراع عدة متتالية. المفاجأة الفعلية تكمن في الدورة الثانية التي تؤدي حكماً إلى انتخاب أحد المرشحيْن فرنجية أو أزعور. هي الدورة الشرعية لوقوع الخيانة والإخلال بالتعهدات والوعود ورفع أثمان الإغراءات.

2. مع أن رئيس البرلمان نبيه برّي ربط تحديد موعد الجلسة الثانية عشرة بوجود «مرشحيْن جدييْن أو اكثر»، بيد أن الوصول إليهما لن يكون كافياً لتحديد الموعد. المؤكد حتى إشعار آخر أن لا جلسة انتخاب للرئيس بين مرشحيْن اثنين يُنظر إلى فوز أحدهما على أنه أكثر من هزيمة المرشح الآخر، بل هزيمة طائفة الفريق الذي يدعمه. كلا الثنائييْن، الشيعي والمسيحي، يخوضان مواجهة عنوانها إسقاط المشروع السياسي للفريق الآخر الذي أضحى ملتصقاً بطائفة هذا الفريق أو ذاك. هذا ما يحدث عندما يبرر الثنائي الشيعي . وكان السبّاق والمبادر . دعمه ترشيح فرنجية أنه يريد رئيساً ضامناً له، ولسلاحه وموقعه الإقليمي خصوصاً، ولا يطعنه في الظهر. وهذا ما يحدث أيضاً عندما ينكر الثنائي المسيحي على أي فريق غير مسيحي أن يفرض عليه رئيساً للجمهورية ينتمي إلى طائفته لا يريده إن لم يكن يعارضه.

3. في ظل اصطفافيْن يوحيان بالتراص يعبّر عنه الثنائيان المتيقنان من تماسكهما، يتحول النواب من خارجهما إلى الأغلى ثمناً في الاستحقاق، وهم كتلة وليد جنبلاط والنواب التغييريون وبعض المستقلين. كلا الثنائييْن تصوَّر على أنه أكثر من هزيمة المرشح جنبلاط إلى جانبه لترجيح الكفة أو على الأقل لتسهيل الوصول إلى الفوز. أما ما لم يدخل بعد في تصوّرهما . كعامل إضافي لتعذّر انتخاب الرئيس. فهو سوء فهم موقف الزعيم الدرزي. عندما قال بتأييد مرشح تسوية، استبعد في آن فرنجية والمرشح السابق النائب ميشال معوض. وعندما أعاد أخيراً تأكيد الموقف نفسه ولوّح بالورقة البيضاء أصر على مرشح التسوية مع أنه كان سبّاقاً إلى طرح أزعور. أكثر من مرة أظهر تأييده له كشخصية اقتصادية ومالية محترفة تحتاج إليها البلاد في المرحلة المقبلة. عندما لمّح جنبلاط إلى تأييده كمرشح تسوية لم يكن الثنائي المسيحي قد ذهب بعيداً في تبنّيه، واطل به على أنه مرشح معركة وتحد في مواجهة فرنجية وجزم سلفاً بفوزه.

ما يصحّ على جنبلاط متفادياً الدخول طرفاً بين مرشحيْ تحد، يتحدث عنه أيضاً نواب إما مستقلون أو تغييريون: لا ينتخبون أزعور، لكنهم حتماً ضد فرنجية.

4. ما هو معلوم أن الائتلاف المسيحي المستجد، بين حزبيْ القوات اللبنانية والكتائب والتيار الوطني الحر وحلفائهم، على أزعور ليس إلا تعبيراً عن رفض قاطع لوصول فرنجية، بما يمثّل سياسياً وشخصياً، إلى الرئاسة تكراراً لما حدث عام 2015. في المقابل ينظر الثنائي الشيعي وخصوصاً حزب الله إلى ترشيحة على أنه استدراك لما لم يكن يتوقعه. اتخذ قرار ترشيح فرنجية على إثر الانتخابات النيابية العام المنصرم التي أفقدت الحزب ما كان ينتظره، وهو تمكنه من الحصول على أكثر من الغالبية المطلقة في أصوات البرلمان الجديد. ثغرة خسارته هذه كمنت في تعديل قانون الانتخاب حينذاك على نحو أتاح اقتراع الانتشار للمقاعد الـ128 فحرمه من كمّ من الاصوات المفترض أنها محسوبة له سلفاً. وجود رئيس للجمهورية حليف لحزب الله يعوّضه الغالبية النيابية التي أخفق في الحصول عليها.

في ما يسمعه المطلعون على موقف حزب الله أنه لن يسمح، على الأقل في ما يقوله، بانتخاب رئيس يثير فيه القلق والمخاوف والشكوك. الأهم في ما يقوله الحزب لتأكيد عدم تساهله في عدم وجود رئيس للجمهورية حليف له أن مناصب ثلاثة رئيسية في الدولة يصعب السيطرة عليها تذهب مرة بعد أخرى إلى «الأميركيين»: رئاسة الحكومة وقيادة الجيش وحاكمية مصرف لبنان. المناصب الثلاثة هذه لن تكون أقل أهمية من انتخاب الرئيس في المرحلة المقبلة تحت وطأة الانهيار الداخلي. ذلك ما يُفهم من أن الثنائي الشيعي وحزب الله بالذات لن يذهب إلى جلسة انتخاب رئيس لا يكون فرنجية.

في نهاية المطاف لا يملك الحزب، وهو يدخل في مواجهة طويلة الأمد على الاستحقاق الرئاسي، سوى التيقن من الكلفة الباهظة التي يسعه تحمّلها في الداخل ومع الخارج حيال أحد خيارَيْن اثنيْن: التسليم بخسارة فرنجية سواء كان الفائز أزعور أو سواه، أو الذهاب إلى شغور لا أحد يعرف آخر خيطه.

5. يكتسب ترشيح أزعور جديته من أسباب دارت من حول إيحاءات شتى أبرزها سعودي، كافية كي يدخل في منافسة مع فرنجية ويستقطب من حوله كتلاً مسيحية نفرت من ورود اسمه قبل أشهر ثم استعجلته. بين الأسباب تلك أن السفير السعودي وليد البخاري فاتح سمير جعجع به في وقت مبكر قبل أن يشاع اسمه أخيراً. ما يروى أن البخاري أظهر حماسة لخوض الفريق المسيحي وخصوصاً حزب القوات اللبنانية في ترشيح أزعور الذي عرفته المملكة قبلاً وتعاونت معه في خلال عمله في الصندوق النقد الدولي، مشيداً بعلاقاته الدولية المفيدة. رُوِّي أيضاً ما أسرّ به أزعور إلى رئيس البرلمان قبل أيام أنه يحظى بتأييد الرياض لانتخابه.

المشهد السياسي

# المعارضة تعلن ترشيح أزعور اليوم... والتيار يؤيد منفرداً

مع توقع الإعلان الرسمي لقوى المعارضة مع التيار الوطني الحر، ترشيح الوزير السابق جهاد أزعور لرئاسة الجمهورية، ينتقل الملف الرئاسي إلى مرحلة جديدة من المواجهة، ساحتها المرتقبة من قبل الفريق نفسه هي مجلس النواب.

لكن المعلومات المتوافرة تشير إلى أن رئيس المجلس النيابي نبيه بري لن يدعو المجلس إلى الانعقاد سريعاً. إذ تبين أن البطريرك الماروني بشارة الراعي كان قد أبلغ الفرنسيين أنه سيقوم بجولة جديدة من الاتصالات مع الأفرقاء المسلمين لإقناعهم بالسير بالتوافق انطلاقاً من وجود مرشحين، لأنه ليس قادراً على مباركة مرشح من دون الآخر، طالما يحظى الاثنان بدعم قوى كبيرة في البرلمان، كما أنه غير قادر على الضغط على أي منهما للانسحاب، وأن كل ما يمكنه القيام به هو تكثيف الحوار بين القوى كافة، علها تصل إلى تفاهم على اسم لا يعتبر فوزه تحدياً لفئة أو طائفة.

وإلى هذا السبب، فإن الاتصالات بين أطراف الفريق الداعم للوزير السابق سليمان فرنجية أسفرت عن ضرورة إعطاء بعض الوقت حتى تبرد السخونة المرافقة لترشيح أزعور، خصوصاً أن احتساب الأصوات في هذه اللحظة لا يعطي نتيجة ثابتة. فيما يراهن كثيرون على أن معركة النصاب ستطل برأسها من جديد.

وكانت مصادر في قوى المعارضة أشارت إلى «اجتماعات تنسيقية حصلت في اليومين الماضيين لوضع اللمسات الأخيرة على إعلان تبنّي ترشيح أزعور وإعطاء إشارة قوية لتوحّد القوى المسيحية خلف اسم واحد». وقالت المصادر إن «حزبيْ القوات والكتائب كانا يطمحان إلى عقد مؤتمر صحافي يضمّ كل القوى التي تتبنى ترشيح أزعور أو إصدار بيان مشترك موقع منها جميعاً». لكن هذه النقطة لم تحسم بعد، كاشفة أن «السيناريو الأكثر قبولاً حتى الآن، هو الإعلان عن ترشيح أزعور من منزل المرشح السابق للمعارضة النائب ميشال معوض، الذي يفترض أن يقرأ بياناً يعلن فيه انسحابه لمصلحة أزعور، في حضور ممثلين عن «القوات» والكتائب ونواب تغييريين ومستقلين».

ووفق هذا السيناريو، يتوقع أن يُعلن التيار الوطني الحر منفرداً تأييد أزعور. وستبدأ عملية التدقيق في حجم الأصوات التي سيجيرها التيار لمصلحة أزعور، في ظل إصرار بعض النواب على رفض التصويت له أو لفرنجية. وقد دخل هؤلاء في حالة ربط نزاع مع رئيس التيار النائب جبران باسيل، ومن غير المعلوم حتى الساعة كيف سيكون رد فعلهم في حال اختصر باسيل موقف التيار بالمؤيدين من دون العودة إليهم.

وكانت الساعات الأخيرة شهدت تسارعاً في وتيرة الحركة الرئاسية، بعدَ كلام البطريرك الراعي، فور عودته من باريس عن «حراك سيىداه في اتجاه كل المكونات، بما فيها حزب الله»، بخاصة أن ملابسات الكلام عن ترشيح أزعور والضجيج الذي أثاره، أكد أن لا إمكان لإحداث أي اختراق إيجابي في الملف الرئاسي، وفق ما تقول مصادر سياسية بارزة اعتبرت أن هذه التطورات ترسم ملامح لوحة قاتمة ينتظرها لبنان. ونقل عن مرجع كبير قوله: «ما يحصل لا يعيدنا إلى النقطة الصفر فحسب، بل يجعل الأمور أكثر سوداوية من قبل».

الراعي استقبل أمس باسيل وأطلعه على نتائج زيارته إلى أوروبا. وهي زيارة جعلت بعض قوى المعارضة تعبر عن قلقها، مبدية خشية من أن «يستغل باسيل دعوة الراعي إلى الحوار لتأجيل إعلان دعم أزعور، وكسب مزيد من الوقت كما كان يفعل مراراً». فهو «لا يزال يدعو إلى التوافق

> **مرجع كبير: ما يحصل لا يعيدنا إلى النقطة الصفر فحسب، بل يجعل الأمور اكثر سوداوية**

ويظهر توجساً من الذهاب بعيداً في مواجهة حزب الله».

وبينما لفتت المصادر إلى أن «المعارضة تركّز حالياً على التواصل مع النواب السنة لإقناعهم بخيار أزعور»، ينتظر الجميع موقف الحزب الاشتراكي. وكشفت أنه «في الساعات الماضية لمس متواصلون مع نواب في كتلة اللقاء الديموقراطي إرباكاً كبيراً في مطبخ الاشتراكي»، بالتزامن مع معلومات تحدثت عن أن جنبلاط، وهو يؤيد أزعور بقوة، يدرس موقفه الآن، ربطاً بمناخات التحدي الكبيرة، وخشيته من تحول أزعور من مرشح تسوية كما كان اقتراح زعيم المختارة، إلى مرشح تحد، حيث «لا يزال جنبلاط يفضل أن لا يكون طرفاً إلى جانب أحد». وفي هذا الإطار، وضعت مصادر مطلعة الزيارة التي قام بها الوزير السابق غازي العريضي إلى عين التينة حيث التقى رئيس مجلس النواب نبيه بري قبل أن تعلن الكتلة موقفها الأخير بعدَ اجتماع تعقده الثلاثاء المقبل.

(الأخبار)

(مروان بو حيدر)

تقرير

# «صندوق باندورا» السفارة في كييف: تخلّف عن دفع الضرائب

(هيثم الموسوي)

**ندى أيوب**

قرار الخارجية في شباط الماضي بإغلاق السفارة اللبنانية في كييف فتح «صندوق باندورا» الفضائح التي تحيط بعمل هذه البعثة في أوكرانيا. أساساً، لم يأت قرار الإقفال بسبب الحرب التي تعصف بتلك البلاد، بل على خلفيّة قضية اختلاس نحو 320 ألف دولار من صندوق السفارة، لا تزال موضع تحقيق في القضاء. يومها أرسلت الخارجية موفداً إلى كييف لإنجاز الإجراءات اللازمة لإقفال السفارة، ومنها إبلاغ خمسة موظفين أوكرانيين كانوا يسيّرون الشؤون الإداريـة والقنصلية في السفارة (بعد استقالة موظفَيْن لبنانيين)، بإنهاء خدماتهم. إلا أن هؤلاء لم يتقاضوا حتى اليوم مستحقّاتهم التي تعود إلى نيسان 2022، أي أن لهم في ذمة السفارة رواتب 11 شهراً (نيسان 2022 - شباط 2023). ولم تؤدَّ مراجعاتهم المتكررة للسفارة والخارجية إلى نتيجة. لذلك لجأوا قبل نحو أسبوعين إلى مكتب محاماة أوكراني للبدء في إجراءات رفع دعوى على الخارجية اللبنانية لتحصيل رواتبهم والتعويضات المُستحقة لهم وفق قانوني الجزاء والعمل الأوكرانيَيْن.

بناءً على طلب المكتب، أرسل الموظّفون في 22 أيار الماضي كتاباً إلى وزير الخارجية عبدالله بو حبيب والأمين العام للوزارة هاني شميطلي للاستفسار عن موعد تسديد مستحقاتهم، وإبلاغهما بأحكام قانونَيْ العمل والجزاء الأوكرانيَيْن في ما يتعلّق بصرفهم وعدم دفع رواتبهم. ورغم انقضاء مهلة الأيام الثلاثة التي أعطاها هؤلاء لتسلّم جواب من الوزارة، بموجب القوانين الأوكرانية، لم يأتهم أي رد، «وهذه ليست المرة الأولى التي لا تتجاوب فيها الإدارة في بيروت مع مراسلاتهم» بحسب ما أكدت مصادر قريبة من الموظفين لـ«الأخبار»، محمّلة شميطلي المسؤولية «كونه المدير المباشر ضمن الترتيب الإداري، بعد وضع السفير علي ضاهر في التصرّف» بسبب التحقيق في اختلاس طاول أموال صندوق السفارة الذي يتغذى من رسوم تجديد جوازات السفر لأبناء الجالية اللبنانية ومن الوكالات، إلى جانب رسوم عقود الزواج وغيرها.

مباشرة مكتب المحاماة في الإجراءات كشفت فضيحة جديدة تتمثل في أن السفارة في كييف لم تكن تسدّد ضرائب الدخل التي تتوجب عليها عن كل موظف أوكراني في السفارة، وفق قانون العمل الأوكراني، علماً أن بين الموظفين من يعمل في السفارة منذ عام 2006. وهي مخالفة كبيرة تقوّي الموقف القانوني للموظفين، وتتيح لهم التوسع في المطالبة بالرواتب المتأخرة والتعويضات والضرائب المكسورة، وربما فوقها غرامات أيضاً.

في بيروت، الجواب نفسه يتكرر منذ شهرين بتأكيد نيّة الوزارة الدفع وتبرير التأخير تارة بـ«سلوك الملفّ مساره الإداري» وتارة أخرى بـ«تعذّر التوقيع» بحجة أن «الوزير خارج البلد». مصادر في الخارجية قالت لـ«الأخبار» إن تصفية المبلغ الواجب إرساله، بين رواتب وتعويضات، أنجزت، وسيُتم تحويله إلى السفارة اللبنانية في بولندا، حيث يمكن للموظفين السابقين الحصول عليه.

## أموال الطلاب عالقة في الخارجية

يعاني الطلاب اللبنانيون الذين يدرسون في جامعات أوكرانيا من «استلشاء» وزارة الخارجية بملفّهم كواحدة من الجهات المعنيّة به. فبعد نحو عام ونصف عام على إصدار الوزارة لائحة بأسماء طلاب لبنانيين في الخارج استفادوا من هبة مالية (900 دولار) قدّمتها مصلحة «الريجي»، لتمويل جزء من كلفة دراستهم، وزُرّعت عليهم عن طريق البعثات الدبلوماسية، لا يزال 134 طالباً في أوكرانيا، وعدد أقل في إيران وسوريا وكوبا، مستثنين من الحصول على هذه المنحة، إما بسبب الحرب أو بسبب العقوبات المفروضة على التحويلات المالية إلى هذه البلدان.

وبعد مناشدات وتحركات للأهالي، أرسلت وزارة المالية قبل أشهر أمر الدفع إلى مصرف لبنان، قبل أن «يعلق» في وزارة الخارجية. في المراجعة الأخيرة لذوي الطلاب، قبل 20 يوماً، تبلّغ هؤلاء من الخارجية أنّ الوزير عبدالله بو حبيب «أوعز إلى مدير الدائرة المالية السفير كنج الحجل بالتحقّق من صحّة المعلومات حول إرسال أمر دفع لمصرف لبنان، والبحث عن سفارة بديلة لتحويل الأموال، الأرجح أن تكون سفارة لبنان في بولندا».

(الأخبار)

على الغلاف

# تسونامي تعديات يبتلع شاطئ البترون

**مجزرة اعتداءات على الأملاك البحرية والشاطئ العام، تشهدها منطقتا تحوم وكفرعبيدا الساحليتان في قضاء البترون، لم يشهد لبنان ما يماثلها منذ بدء الحرب الأهلية**

رلى إبراهيم

إلى ما قبل سنوات قليلة، كان جزء من شاطئ قضاء البترون يجتذب زواراً من كل المناطق لنظافة مياهه وتصنيفه البيولوجي المهم. وهذا، ربما، الدافع الأساس وراء هجمة غير مسبوقة للاستيلاء على هذا الشاطئ وإقفاله أمام الناس، تحت عيون «حماة الأملاك العامة» ورغم أنوفهم، من وزارة الأشغال العامة والنقل إلى وزارتي الداخلية والبيئة والنواب والبلديات والقائمقام ومحافظ الشمال ومفرزة الشواطئ: عندما كان وزير الأشغال علي حمية يؤكد، قبل أسابيع، حقّ أي مواطن بالوصول إلى البحر، أي بحر، من دون التعرّض له، وعلى أن يترك المعتدون ممرات إلزامية تسمح للناس بالوصول إلى الشاطئ،

**هجمة غير مسبوقة للاستيلاء على الشاطئ في تحوم وكفرعبيدا وإقفاله أمام الناس**

**رجال أعمال ونافذون وحتى صحافيون يحوّلون الشواطئ العامة إلى «خاصة جداً»**

كان رجال أعمال ونافذون، وحتى صحافيون، يستجّون شواطئ تحوم وكفرعبيدا وتهدر جرافاتهم في وضح النهار لبناء مخالفات قد تكون الأكبر على طول الساحل اللبناني.

أفدح هذه المخالفات تلك التي يقوم بها في منطقة تحوم، مالك شركة Azur bleu، أو بالأحرى شركة «بنك ميد» كما هو مدوّن على السجل العقاري. طالب رخصة الإنشاءات يُدعى جورج يزبك، وهو مالك للعقارات 177 و202 و203، ادّعى أن الغرض منها «ترميم وصيانة إنشاءات غير ثابتة موسمية على الأملاك البحرية»، وهو يحمل موافقة من وزارة الأشغال منذ عام 2019، وقد وافق حمية أخيراً على تجديدها قبل إحالتها إلى وزير الداخلية بسام المولوي.

مصطلح «الإنشاءات غير الثابتة» يعني عدم استخدام الباطون أو أي مادة لا يمكن إزالتها. لكن، على الأرض، عمد يزبك إلى التعدّي على الطريق العام وصبّه بالباطون، قبل أن يتجه بحراً لردم مساحة من المياه وبناء منتجع ضخم... وكلها «إنشاءات ثابتة» بـ«الباطون». وبحجة «الصيانة»، أقدم صاحب الرخصة على هدم مبنى قديم، وأعاد بناءه متوسعاً خمسة أمتار عرضاً و15 متراً طولاً. وللاستفادة قدر الإمكان من الرخصة وحصد أرباح على أبواب الصيف، بنى أكواخاً خشبية فوق مياه البحر، حول مسبح دائري كبير من الباطون. حصيلة هذه الأشغال، 12 تعدياً على الشاطئ وتحويله من عام إلى خاص بحقهم رغم الصلاحية الممنوحة لها بالهدم فوراً.

من Azur bleu إلى مطعم «مرشاق عالبحر»، ودائماً في منطقة تحوم، صاحبا العقار رقم 5 هما اسطفان خليل وجوزيف شارل ابراهيم الخباز، اللذان يملكان أيضاً العقار الرقم 6 المتاخم له، حيث مسبح bonita bay. للمطعم طريق خشبي بطول 7 أمتار داخل البحر، بتسبب في قطع وحدة الشاطئ والتعدّي على البحر.

في تحوم أيضاً، رجل أعمال نافذ يُدعى فرنسوا بركات اشترى العقارين 204 و205 لعام 2021. قبيل ذلك، عام 2017، أجبر المالك القديم على إزالة خيمة مخالفة بموجب قرار قضائي. بعد 5 سنوات، أعاد بركات بقوة الأمر الواقع وضع الخيمة وصبّ الباطون بإذن من البلدية والأشغال والداخلية. ولم يلتزم بالتراجعات 10 أمتار عن البحر ولا 7 أمتار عن الطريق العام.

## احتجاج بتروني

ينفذ أهالي قضاء البترون وحملة «الشط لكل الناس» مسيرة احتجاجية غداً، تبدأ من التعديات على شاطئ تحوم وصولاً إلى شاطئ أبو علي في كفرعبيدا، يشارك فيها عدد من الجمعيات المدافعة عن الملك العام. وبحسب مدير جمعية «نحن» محمد أيوب فإن هدف هذه التحركات هو «إعطاء دفع للناس للوقوف في وجه حيتان الشاطئ الذين لم يُبقوا من مساحة الشاطئ اللبناني سوى 40 كلم». الأخطر وفقاً لأيوب أنه «رغم انتهاء الحرب وبناء المؤسسات، لا تزال هذه المخالفات تتكاثر». لذلك تقدّمت «نحن» أمام النيابة العامة الاستئنافية في الشمال، بشكوى ضد مجهول حول كل التعديات وأعمال البناء المخالفة للقانون على الأملاك العمومية البحرية الواقعة ضمن النطاق البلدي لمنطقة تحوم.

| نوع التعدي | رقم العقار | مساحة العقار م٢ | صاحب العقار إسم المنشأة | مساحة التعدي م٢* | | | | تاريخ ورقم الطلب المقدم لمعالجة الإشغال من قائمقامي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | ردم | إنشاءات | مسطح مائي | الإجمالي ردم +مسطح مائي | |
| تعدي على الأملاك العامة البحرية من أصحاب عقار متاخم | 3 | 896 | يوسف ناصر لي ناصر إمتطم قيد الإنشاء | | | | | 7299/6 - 01/10/2019 |
| | 4 | 1950 | بيار طنوس \| Pierre & Friends | | | | | |
| | 5 | 1979 | اسطفان خليل-جوزيف شارل ابراهيم الخباز \| مطعم مرشاق عالبحر | | | | | |
| | 6 | 1132 | اسطفان خليل-جوزيف شارل ابراهيم الخباز \| مسبح -Bonita Bay | | | | | |
| | 7 | 507 | إلياس طنوس الخوري \| مسبح -Oasis | 800 | 809 | | | 766/6 - 22/1/2018 |
| | 8 | 203 | أميل-نبيل-سيمون-أدمون يوسف طنوس لي صعب \| مسبح - White beach | 240 | 35 | - | 240 | |
| | 9 | 129 | | | | | | |
| | 177 | 1047 | Azur Bleu S.A.L إنشاء قيد الانشاء | 4860 | 160 | - | 4860 | 4282/6 - 23/05/2019 |
| | 202 | 208 | | | | | | |
| | 203 | 327 | وشاح حنا الشاعر إنشاء قيد الانشاء | 10 | 10 | | 10 | 1185/6 - 25/1/2018 |
| | 204 | 658 | فرانسوا ميشال بركات-مكرم-نديم سليم الزير \| Le Club House | | | | | |
| | 205 | 688 | | | | | | |
| | 206 | 156 | محبوبة منصور يوسف بطرس أنطون-سامي-أدمون يوسف بطرس يوسف-ناهية فؤاد بركات-نبيل-سمير-ندى-منصور-هادي حنّا منصور يوسف \| Ô Glacée | 88 | 88 | | 88 | 654/6 - 23/1/2018 |
| | 207 | 92 | جورج نعوم عون إنشاء مهجور | 50 | 50 | | 50 | 1092/6 - 25/1/2018 |
| | 208 | 46 | روز مارى فارس حلاليمه بازالحوري بازمارى بازبازجوصلين-مورجوزيف بازبازالحد بازبازعنزل | 48 | 48 | | 48 | 735/6 - 22/1/2018 |
| | 209 | 250 | ميشال-كريستال-ميدريك جوزف عبود إنزل | | | | | 735/6 - 23/1/2018 |
| | 298 | 558 | | | | | | |
| | 228 | 5469 | كيمبة مار انطونيوس الباطوني \| مطعم -Mer de Padoue ومتجع -Orchid | | | | | |

*المصدر تقرير وزارة الأشغال العامة والنقل ٢٠٢٠

اخبار

## غياب بيروتي عن لجنة الداخليّة

أبدى ناشطون في بيروت استياءهم من نواب العاصمة الستّة لعدم إيلائهم موضوع تقسيم بلديّة بيروت أي اهتمام، مشيرين إلى أنّ هؤلاء يتغيّبون عن جلسات لجنة الدفاع والداخلية والبلديات النيابيّة حيث يمكن أن تناقش أي تعديلات على القانون الانتخابي للبلديات ومحاولة تمرير أي اقتراح لتقسيم البلدية.

## فضلو لا يحب جمال عيتاني!

أكدت مصادر أن عدم توجيه الدعوة إلى رئيس بلدية بيروت جمال عيتاني للمشاركة في الاحتفال بإضاءة كورنيش المنارة في عين المريسة، والذي دعت إليه الجامعة الأميركية في بيروت، بالتعاون مع جمعية "REBIRTH BEIRUT" و"MEDCO"، في كانون الثاني الماضي، جاء نزولاً عند رغبة الجامعة الأميركية». وفي المعلومات أن رئيس الجامعة الأميركية في بيروت فضلو خوري اشترط عدم دعوة عيتاني، مهدداً بعدم حضور الاحتفال.

## حق الرد

نشرت «الأخبار» (2 حزيران 2023) خبراً عن خلاف بين محافظ بيروت مروان عبود والقوات اللبنانية، ونسبت إلى شقيق النائب غسان حاصباني، إيلي حاصباني، قوله للمحافظ: «نحن أسياد المنطقة، ونحن نسيّر المشاريع التي نوافق عليها». نودّ أن نوضح أنّ شاغلي المحلات والأبنية السكنية وجّهوا كتاباً إلى بلدية بيروت لوقف تنفيذ مشروع يرمي إلى توسعة الأرصفة على حساب تضييق الطريق وإلغاء مواقف السيارات. ولجأ الأهالي إلى ابن المنطقة إيلي حاصباني، وهو عضو سابق في مجلس بلدية بيروت، طالبين مساعدته للتدخل لدى البلدية لشرح قضيتهم ومحاولة تعديل المشروع، كما تواصلوا مع عدد من نواب المنطقة لإيصال صوتهم إلى البلدية التي رخّصت لجمعية URBAN LAB للمباشرة في تنفيذ هذا المشروع. وتجاوباً مع طلب الأهالي، دعا المحافظ إلى اجتماع في مكتبه حضره النائبان غسان حاصباني وهاكوب ترزيان وممثلون عن الأهالي شرحوا أسباب اعتراضهم وقدّموا اقتراحاتهم، واتُّفق على وقف العمل مؤقتاً ريثما يتم تعديل المشروع. وأعطى المحافظ توجيهاته على هذا الأساس. لكن، فوجئ الأهالي بعودة المتعهّد إلى العمل من دون تعديل في الرخصة، فطالبوا بتنفيذ قرار المحافظ بوقف العمل مؤقتاً لحين موافقة البلدية على التعديلات المطلوبة.

أنا لا أتكلم باسم أي حزب، بل كمواطن من أبناء الرميل مهتم بشؤون المنطقة مع سائر أهلها، وما جاء عن لساني مأخوذ خارج سياقه.

**إيلي حاصباني**

# هنري كيسنجر في عيده المئة: عن مجرم حرب وسلم

**أسعد أبو خليك ***

ظُلِمَ هنري كيسنجر في العالم العربي وظُلِم أكثر في لبنان. وهو ظُلِم بالمعنى نفسه الذي ظُلِم فيه أرييل شارون في إسرائيل. الليبرالية الغربية والليبرالية الإسرائيلية أرادتا أن تحمّلا كل آثام الغرب وإسرائيل وجرائمهما إلى شخص واحد فقط. الشرّير هو الاستثناء، والخير هو القاعدة. كما أن الليبراليّة الأميركية أرادت أن تجعل من دونالد ترامب استثناءً لتاريخ أميركي طويل من التحالف مع الأنظمة الاستبدادية: لم تقلّ انحناءات بايدن لطغاة الخليج عن انحناءات ترامب. هنري كيسنجر كان أكثر شهرةً من بين كل وزراء الخارجية الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية، أو حتى قبلها. لكنه حتماً لم يكن استثناءً في السياسات المُخادعة والتحالفات الخبيثة والحروب العلنية والسرية لأميركا. كيسنجر أصبح مفيداً للدعاية الأميركية، وخصوصاً في جناحها الليبرالي، كما أن أرييل شارون كان مفيداً للدعاية الإسرائيلية. وهذا يسري أيضاً في أميركا بالنسبة إلى مؤسس «مكتب التحقيقات الفيدرالي»، جي إدغار هوفر، الذي تحول في السرديّة الأميركيّة الجديدة إلى رجل «فاتح على حسابه»، مع أن كل خروقات الحقوق المدنية للمواطنين والمواطنات في هذه البلاد جرت أيضاً عندما كان روبرت كندي الليبرالي وزيراً للعدل. كيسنجر

> **إنّ الجرائم التي تُنسب إلى كيسنجر صحيحة، لكنها جرائم إدارات أميركية متعاقبة. لم يكن الرجل مصاباً بلوثة عقلية دفعته إلى ارتكاب جرائم هنا وهناك، بل كان منظّراً لسياسة إمبريالية تستمرّ مع تعاقب الإدارات**

> **في لبنان، ليس له سمعة عطرة. لا عند القوى اليمينيّة ولا عند قوى اليسار. وريمون إده جعل منه المُتحكّم بمقدّرات البلد في كل سنوات الحرب. لكن جنبلاط تذكّره فجأة بعد اغتيال الحريري**

عنوان لمرحلة من السياسات الأميركيّة المتوحّشة، وهذه السياسات والحروب التي صاحبت حقبته كان ممكناً جداً أن تجري من دونه. هو عنوان مراوغ لأن البروباغندا الأميركيّة جعلت منه عبقريًا ورجل دولة. فساد كيسنجر في الحكم لم يزل بعد خروجه من الحكم. عرف كيف يغرف من سمعته في العالم، فأصبح مستشاراً معتمداً للشركات المتعدّدة الجنسيّة، ليس بسبب خبرته في عالم الاقتصاد والمال، بل لأن وجوده في الوفود يفتح أبواب الحاكم. يكفي أن يصطحبه رئيس شركة «أميركان إكسبرس» أو «بيبسي» إلى الصين، كي يستقبله حاكم الصين، راكم ملايين من هذه الخبرة.

نتحدّث عن كيسنجر بمناسبة احتفاله قبل أسبوع بعيد ميلاده المئة. عمّر مجرم الحرب والسلم في لبنان، ليس له سمعة عطرة، لا عند القوى اليمينيّة ولا عند قوى اليسار، وريمون إده جعل منه المُتحكّم بمقدّرات البلد في كل سنوات الحرب. لكن جنبلاط تذكّره فجأة بعد اغتيال الحريري، يوم أسفر جنبلاط عن وجهه السياسي الحقيقي (أخيراً) واعترف بأن عقيدة بوش الهمته وانه يعوّل على أرييل شارون ومحمود عبّاس لحلّ القضيّة الفلسطينيّة. يومها زار جنبلاط أميركا وجال يقدّم الاعتذارات ذات اليمين وذات الشمال، محاولاً أن يخفي مرحلة خجل منها في رئاسة الحركة الوطنيّة. اعتذر عن خطب له وعن هجاء لبول وولفويتز. والطريف أنه طلب من السفارة الأميركيّة تدبير اجتماع له مع هنري كيسنجر. استقبله الأخير لبعض دقائق، وقال جنبلاط إنه سأله عن انطباعاته عن أبيه (لم يعرفه). كأن كيسنجر يعرف من هو وليد جنبلاط ومن هو إلياس الهراوي ومن هو فؤاد شبقلو.

هنري كيسنجر كان مؤثراً في السياسة الخارجية الأميركية منذ أوائل الستينيات. ارتبط هنري كيسنجر منذ سنواته طالباً في الدراسات العليا في جامعة هارفرد بما يسمى في العلاقات الدولية بـ«السياسة الواقعية»، أي تلك التي تعتبر أن السعي لنيل القوة، والحفاظ وتعظيم القوة، هو أساس مسعى الدول، كل الدول. مصلحة الدولة تعلو على أي أهداف أو قيم سامية. لا يعترف كيسنجر بالقيم السامية، وحتماً لا يعترف بالأخلاقيّات. وفي كتابه الأول عن «الأسلحة النووية والسياسة الخارجية الأميركية»، زرع كيسنجر فكرة «واقعية» (في مصطلح نظريّات السياسة الدوليّة) عن صوابيّة وجواز شنّ «حرب نووية صغيرة»، أي الحرب التي يمكن فيها استعمال أسلحة نووية تكتيكية (ذات القدرة التدميرية الأقلّ من الأسلحة النووية الأكبر). هنري كيسنجر لم يكن راضياً عن صراع بين الجبارين لا يُستهلّ فيه استعمال السلاح النووي. يريد أن يكون استعمال السلاح النووي مدرجاً من قبل فرق عسكرية صغيرة في الميدان. وهذا المفهوم وهذا النقاش الذي بدأ في أواخر الخمسينيات واستمرّ في الدوائر العليا في أميركا يختلف جذرياً عن التفكير السوفياتي في السياسة الدوليّة نحو الحرب الباردة. الاتحاد السوفياتي كان بالفعل يسعى نحو السلام العالمي، بالرغم مما لحق من هذا الشعار من تشويه وتسخيف من قبل أجهزة البروباغاندا الأميركية (وظهر ذلك جلياً في أدواتها في العالم العربي). واحد من أسباب فوز أميركا على الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة أنها لم تكن تمانع البتّة في تعريض السلم العالمي للخطر لزيادة نفوذها والحفاظ على تفوّقها العسكري في العالم. أميركا لم تكن تخشى لعبة حافة الهاوية، وتلك لعبة لم تكن واردة في حسابات القيادة السوفياتيّة المحافظة والمتحفظة. (حتى بعد نهاية الحرب الباردة، استسهلت أميركا النظر في خيار استعمال الحرب الباردة، وجيمس بيكر، في اجتماعه الشهير مع طارق عزيز شباط 1991، هدّده رسميًا باسم الحكومة بالسلاح النووي إذا ما استعملت القوّات العراقيّة سلاحاً كيمائياً - لم تكن تمتلكه أصلاً).

هنري كيسنجر سعى إلى السلطة، أو إلى التقرب من سلطة القرار، منذ عهد جون كينيدي الديموقراطي. وكان في أوائل الثلاثينيات من عمره. وإذا كان الحكم في الستينيات ديموقراطياً، فلا ضير في أن يكون هنري كيسنجر ديموقراطيًا. هو على الصعيد الشخصي، يمارس ما روّج له في نظريّات العلاقات الدولية (من دون اعتبار للأخلاقيّات)، وسعى نحو التقرّب من السلطة بهدف المشاركة في صنع القرار. وانتخابات 1968 كانت حاسمة، لا بل محرجة بالنسبة إليه. هل هو يجنح نحو المرشح الديموقراطي، هيوبرت همفري، أم هو يجنح نحو المرشح الجمهوري ريتشارد نيكسون آنذاك؟ وجد كيسنجر الحل المألوف بالنسبة إليه، أي الحلّ الذي لا يعتمد على معايير أخلاقية أو أيديولوجية تعيق تقدّمه في السعي للاقتراب من مركز القرار. وكان أن عمل مستشاراً للحملتيْن المتصارعتيْن: بمدّ حملة نيكسون بالمشورة كما يمد حملة همفري بالمشورة، ومثل لعبة النرد، ينتظر كيف يقع. وكان أن فاز ريتشارد نيكسون بالرئاسة واصبح هنري كيسنجر مستشاره لشؤون الأمن القومي (كان كيسنجر يتوقّع أن يتولّى مسؤوليّةً أقلّ مرتبة بكثير). ومنذ أن تولّى المنصب، سعى هنري كيسنجر إلى الاقتراب أكثر فأكثر من مركز القرار، وكان يجيد عصر المنصب للحصول على أكبر قدر من النفوذ ولو ضايق ذلك زملاءه في المسؤوليّة. صحيح أن المستشار لشؤون الأمن القومي للرئاسة يتميز عن وزير الخارجية بأنه يرى الرئيس بصورة يومية، ومكتبه ملاصق للمكتب البيضاوي في البيت الأبيض. إلا أن السمعة والهيبة تكوّنان من حصة وزير الخارجية لا من حصة مستشار الأمن القومي الذي يُطلب منه عادة الابتعاد عن الأضواء. ولعب هنري كيسنجر لعبة السلطة بمهارة فائقة، وكان يعرف كيف يحارب خصومه في داخل الإدارة وكيف يسرق من صلاحيّات وزير الخارجية وكيف يجري اجتماعات ولقاءات من دون المرور في الآلية الدبلوماسية الرسمية. كان يطلب من السفير السوفياتي في واشنطن، أناتولي دوبرينين، الدخول من الباب الخلفي للبيت الأبيض كي لا يكون للزيارة خبرٌ في الإعلام، ما قد يغيظ وزير الخارجية المُنافس. وعانى وزير الخارجية، ويليام روجرز (الذي طبع اسمه مشروع روجرز، السيئ الذكر) من ممارسات كيسنجر إلى أن ضاق ذرعاً واستقال وكانت الاستقالة طريقاً لتسجيل سابقة: يوم كان رجلٌ واحدٌ يتولّى في آن منصب مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية. وعلّق كيسنجر بعدها بالقول إنه لم يسبق أن توافقَ مستشار الأمن القومي مع وزير الخارجية في التاريخ المعاصر إلا عندما جمعَ الشرير في شخصه.

لا أنظر ببراءة إلى السرديّات التي تعظّم من شأن هنري كيسنجر وتجعله وحده مسؤولاً عن سياسات وحروب، كما أنني لا أنظر ببراءة إلى السرديّات التي تجعل من أرييل شارون مسؤولاً عن سياسات وحروب عبر العقود. إنّ المسؤولية عن السياسات الأميركية وعن الحروب والغزوات هي من صنع نخبة حاكمة تضم في صفوفها جمهوريّين وديموقراطيين، كما تضم ليبراليّين ومحافظين. إنّ الاقتحام الأوروبي من قبل حلف شمال الأطلسي الدائر اليوم يحظى بدعم من كل قيادة الحزب الديموقراطي وحتى من أعضاء الكونغرس اليساريين، بمن فيهم عصبة الأربعة (في إشارة إلى أربعة نواب نساء من الحزب الديموقراطي اللواتي عُرفن بمواقفهنّ اليسارية المتطرفة بالاعتبار الأميركي).

كتب كريستوفر هيتشنز كتاباً (محاكمة هنري كيسنجر) بات معروفاً بفضحه وتفصيله لجرائم حرب كان كيسنجر مسؤولاً عنها، لكن كتابه لا يتطرّق إلى منطقة الشرق الأوسط بتاتاً. والتحولات التي أصابت عقيدة هيتشنز في سنواته الأخيرة، أي التحول من أقصى اليسار إلى اليمين الإمبريالي، مسؤولة ربما عن إغفاله لإدراج منطقة الشرق الأوسط في كتاب يتحدث عن جرائم كيسنجر. لا، ترك هنري كيسنجر بصماته على عدد من ملفات الشرق الأوسط. هو وغيره في الإدارة. هو ووزير الدفاع الأميركي ووزير الطاقة، قرّروا في حينه أن الحكومة الأميركية يجب أن تعدّ خططاً من أجل الاستيلاء على مصادر النفط في الشرق الأوسط مهما كان إذا ما تعرّض إمداد النفط لحظر من قبل حكومات العرب. وليس صحيحاً أنه كان مهووساً بالملف اللبناني على ما صوّر سليمان فرنجية أو ريمون إده. لا، كيسنجر كان جزءاً من فريق ربط السياسات الأميركية بالمليشيات الانعزالية في مرحلة التحضير للحرب ومرحلة إشعال الحرب ومرحلة الإشراف على تدخل الجيش السوري في لبنان لمصلحة تلك المليشيات. لم يكن كيسنجر يوماً خبيراً أو ضليعاً بشؤون الشرق الأوسط. كل ما كان يحتاج إليه كان يجده في تعاطيه المباشر مع حكام العرب وأقام علاقات شخصية مع حافظ الأسد ومع الملك فيصل ومع الملك حسين، وطبعاً، قبل كل شيء مع أنور السادات (الذي كان يناديه بـ«العزيز هنري»، ومحمد حسنين هيكل، الذي كان قريباً من السادات في تلك الفترة، زهّا بكتاباته بمعرفته بكيسنجر). ما فعله كيسنجر بنجاح، وبموافقة الأنظمة التي تعاطى معها، أنه شرذم التفاوض العربي عن فلسطين. قبل 1970، رسّخ جمال عبد الناصر مبدأ الحل الشامل والعادل. والحل الشامل كان يحرّم إقدام أي طرف عربي على التفاوض المنفرد لحلّ منفرد مع إسرائيل، من دون إدراج هذا التفاوض من ضمن حل شامل وعادل للقضية الفلسطينية الأم (طبعاً، حتى التفاوض ومشروع روجرز كان خطأً وهو أدّى إلى فتح أبواب «مسيرة السلام» التي لم تكن أكثر من خديعة كبرى للعرب). كيسنجر، وخصوصاً في علاقاته مع أنور السادات، فصل شؤون المفاوضات العربية مع إسرائيل عبر أميركا عن شؤون المفاوضات حول القضية الفلسطينية. أصبحت القضية الفلسطينية مذّاك تبحث عن رعاية عربيّة رسمية فلا تجدها. ياسر عرفات ساهم في خطة كيسنجر من خلال رفعه للشعار الفارغ عن «استقلالية القرار الفلسطيني»، ولم يكن يعني به غير حقه في التنازل والمساومة عن الحق الفلسطيني من دون تلقّي أي نقد عربي لموقفه (كان عرفات يريد من رفع الشعار الحصول على حق التخاطب مباشرة مع أميركا). ياسر عرفات مثّل النموذج الفلسطيني لما أراده كيسنجر من خلال شرذمة الصفّ العربي. كيسنجر كان وراء تحريم وتجريم أي نوع من التعامل والتعاطي مع منظمة التحرير الفلسطينية قبل أن ترضخ بالكامل لشروط إسرائيل، بما فيها نبذ وإدانة الكفاح المسلح، بلغة إسرائيل في محاربة الشعب الفلسطيني. ولم يحظ عرفات بشرف التخاطب المباشر مع أميركا إلا بعدما رضخ مستسلماً لشروط هنري كيسنجر. اتفاق سيناء في صيف 1975 بين مصر وإسرائيل كان تماماً ما قيل عنه في أدبيات اليسار في تلك المرحلة، وإن كان اليسار لم يعدّ العدّة لمواجهة مضاعفات وتداعيات هذا الاتفاق الذي وضع مصر في صف العدو الإسرائيلي (كمال جنبلاط أيّد اتفاق سيناء وموقف السادات ونال تقريعاً من «جبهة الرفض» حول موقفه). ومصر كانت تتدخل في الشأن الفلسطيني منذ ذلك الحين، وفي عهود متعاقبة (من السادات حتى السيسي بما فيها مرحلة الإخوان المسلمين القصيرة) حصراً بطلب من إسرائيل لمصلحة إسرائيل. لم يكن يعني لبنان لهنري كيسنجر والإدارة الأميركية إلا الساحة التي يمكن فيها استعمال الجيش اللبناني للقضاء على المقاومة الفلسطينية واليسار اللبناني المتمركز. وسياسة دعم الميليشيات اليمينيّة لم تبدأ على يد هنري كيسنجر ولم تنتهِ به. المرحلة الذهبية في تلك العلاقة كانت في عهد رونالد ريغان حيث لم يكن لكيسنجر أي دور رسمي باستثناء مهمات كان يوكله بها في أميركا اللاتينية وغيرها. زيارة شارل مالك في عهد ريتشارد نيكسون في مطلع السبعينيات لطلب المزيد من السلاح لمصلحة الميليشيات كانت سياسة تلاقى بين مصالح اليمين اللبناني الانعزالي الطائفي وبين مصلحة إسرائيل وأميركا.

هل صحيح أن كيسنجر أعدّ خطة لتقسيم لبنان؟ ليس من دليل على ذلك في الوثائق الأميركية المنشورة. على العكس، كان إصرار بشير الجميل واليمين في مطلع الحرب على إنشاء كانتون طائفي يميني رجعي يثير حفيظة واشنطن. واشنطن كانت تؤمن بالحفاظ على لبنان موحداً لأن تقسيمه كان يعني اعترافاً بشرعية كيان لبناني مُقابل يخضع لسيطرة منظمة التحرير واليسار اللبناني. أميركا كانت تريد أن يستمرّ الحكم الطائفي الرجعي اليميني في لبنان حتى مع تقديم بعض التنازلات إلى الطرف الإسلامي (وليس إلى الطرف اليساري). مشروع التقسيم تعارض مع مصلحة أميركا في فرض نفوذها على كل لبنان وتعارض أيضاً مع مصلحة إسرائيل في فرض نفوذها على كل لبنان. وهنا كان تأثير صعود «الليكود» في 1977 من حيث رعاية مشروع بشير الجميل. وليس شعار 10452 كيلومتراً مربّعاً إلا عنواناً لإصرار إسرائيل على فرض هيمنتها على كل لبنان، بما فيها تلك المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة منظمة التحرير والنظام السوري.

إنّ الجرائم التي تُنسب إلى كيسنجر صحيحة، لكنها جرائم إدارات أميركية متعاقبة. لم يكن الرجل مصاباً بلوثة عقلية دفعته إلى ارتكاب جرائم هنا وهناك، بل كان منظّراً لسياسة إمبريالية تستمرّ مع تعاقب الإدارات. وها هي إدارة بايدن تمعنُ في الشرور وفي تفجير الصراعات والحروب وتوتير الساحة الدولية أكثر بكثير من إدارة ترامب التي كان يقال عنها بأنها ستؤدي إلى الجنون على الصعيد العالمي. وكيسنجر في مقابلته الطويلة (جداً) مع «إيكونومست» قبل أسابيع بدا أقلّ تهوّراً وجموحاً من بايدن. وفي تلك السياسة التي لا يزال يُقال عنها إنها تختصر عبقرية كيسنجر، أي اختراق المثلّث العالمي، الصيني - السوفياتي - الأميركي، عبر تشكيل حلف خلفي صيني - أميركي وذلك لعزل الاتحاد السوفياتي على الساحة الدولية، لم يكن من بنات أفكاره بل من اجتراح نيكسون الذي كان قبل سنوات قد كتب مقالة في هذا الصدد في مجلة «فورن أفيرز»، مُعاكساً فيها تاريخاً طويلاً له في معاداة للشيوعيّة.

كيسنجر معروفٌ في كل أنحاء العالم لأنه كان الوجه غير اللطيف للسياسة والحروب الأميركية على مدى إدارتيْن أو أكثر قليلاً، بحكم تعاقده مع إدارات ديموقراطية قبل قبل عهد ريتشارد نيكسون. هذا رجلٌ كان يؤمن بصوابيّة القصف المجنون على كمبوديا أو غيرها من دون وجود أهداف عسكرية وذلك لتحقيق نقاط سياسية في مفاوضات كانت تجري في باريس. لكن هذا ليس جديداً في أميركا. ماذا نسمّي حرق الأحياء، مربعاً مربّعاً، من قبل القاذفات الأميركية فوق طوكيو في الحرب العالمية الثانية، حتى قبل رمي القنابل النووية؟ أما الانقلاب على الحكم الديموقراطي في تشيلي واغتيال سلفادور الليندي فهذا ما كانت أميركا تفعله قبل كيسنجر وبعده، ولا تزال تفعله إلى الآن. أميركا قتلت الحاكم الليبي معمر القذافي لأنها كانت تفضّل أداة أكثر مطواعية منه. أميركا شنقت الحاكم العراقي صدام حسين لأنها أرادت ترميز سطوتها وجبروتها أمام الرأي العام العربي ولكسب تعاطف طائفي من قبل شيعة العراق. كان كيسنجر يستسهل، على طريقة فؤاد السنيورة وأحمد فتفت، الكذب حول ما كانت تفعله الإدارة الأميركية. هو يلوم الاتحاد السوفياتي على تقسيم قبرص من أجل زعزعة حكم مكاريوس الشجاع. أميركا كانت في عهده، وبعده، تفضّل حكم جنرالات الاستبداد التركي على الحكم الديموقراطي في هناك.

لم يكن هنري كيسنجر أول من رأى فوائد التحالف مع الحكم العنصري في جنوب أفريقيا، لكنه أول مسؤول أميركي يؤمن بعقيدة تفوّق العنصر الأبيض (وكان أوّل وزير خارجيّة يزور جنوب أفريقيا العنصريّة بعد سنوات من الامتناع). إنّ كتاب سيمور هيرش «ثمن السلطة» يتضمن الكثير عن العقلية العنصرية البغيضة لنخبة الحكم في أميركا في عهد ريتشارد نيكسون. عليك أن ترى الصورة، هنري كيسنجر مع رئيس وزراء جنوب أفريقيا في ذلك الحين، كي يظهر أمامك وبوضوح شديد زيف كل الادعاءات الأميركية عن الحريات وعن الديموقراطية وعن القيم السامية في حربها الباردة ضد الاتحاد السوفياتي. وكان كيسنجر متفوّقاً في الصغائر وكان نيكسون يعاقبه بحظر دعوته إلى المآدب الرسميّة في البيت الأبيض. هناك مفارقة حزينة في أن يحتفل غيرنا بعيد ميلاد هنري كيسنجر. هذه المناسبة قد تستدعي التجديف عند البعض في السؤال عن تلك العدالة الإلهية التي تسمح بأن يموت غسان كنفاني في سن السادسة والثلاثين وأن يعمّر كيسنجر حتى سن المئة. ما هي الرسالة التي يمكن استخلاصها من أن يمشي هنري كيسنجر على وجه الأرض كل هذه السنوات والعقود وأن لا يواجه عقوبة على جرائمه في كل أماكن الأرض؟ نحن في العالم العربي لنا الشرف في معارضته بشدّة قبل أن يصبح ذلك موضة في العالم، وقبل انكشاف الكثير من المستور عن جرائمه. لكن الحرب اللبنانيّة لم تكن خطة مقرونة باسمه، بل كانت مؤامرة كبيرة شاركت فيها بحماسة، أحزاب لبنانيّة يمينيّة، وبالتوافق مع أميركا وإسرائيل (قبل عهد كيسنجر وبعده).

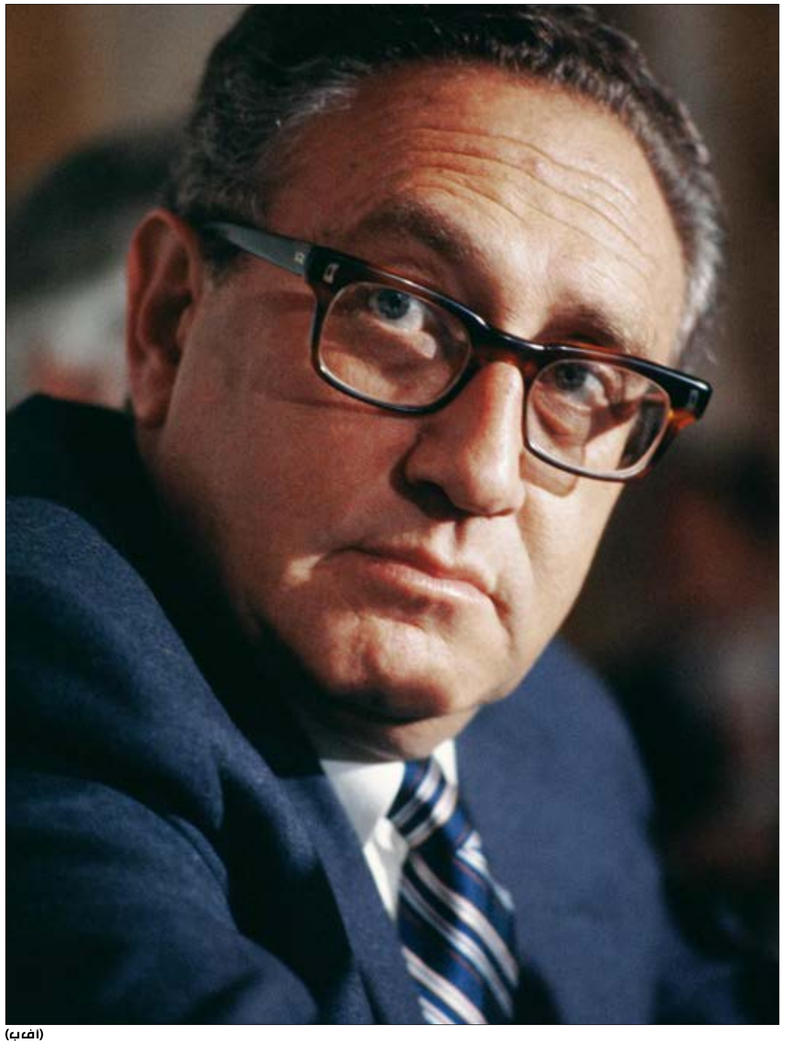
(أ ف ب)



## هكذا تحدّثت فاطمة

**خالد بركات ***

تقف الفتاة اليمنيّة فاطمة موسى محمد في مواجهة هجمة صهيونية وعنصرية مسعورة على مدار الأيام الماضية يقودها أعضاء من الكونغرس الأميركي والقوى والمنظّمات المؤيدة للكيان الصهيوني في واشنطن ونيويورك. لقد دخلت كبرى شبكات التلفزة على الخط فوظفت جزءاً كبيراً من برامجها الرئيسية ضد الطالبة العربية التي تخرجت للتو من كلية الحقوق بجامعة نيويورك، وقد انتخبها زملاؤها لتتحدث باسمهم (دفعة 2023) فوقفت الناشطة الطلابية ودعت إلى الكفاح بلا هوادة ضد الرأسمالية والعنصرية والصهيونية وسط حالة غير مسبوقة من الترحيب والهتاف من زملائها وعدد كبير من أساتذتها.

قالت فاطمة: «تواصل إسرائيل إطلاق الرصاص والقنابل بشكل عشوائي على المصلين، وتقتل الصغار وتهاجم الجنازات والمقابر وتشجع عصابات الإعدام وتستهدف منازل الفلسطينيين ومحلاتهم التجارية وتعتقل الأطفال وتواصل مشروعها الاستعماري الاستيطاني المتمثل في طرد الفلسطينيين من منازلهم»، مؤكدة في كلمتها أن «النكبة مستمرة منذ 75 سنة والصمت لم يعُد مقبولاً».

لقد بدأت الطالبة فاطمة محمد خطابها بالهجوم على القانون نفسه، فاعتبرته «أحد مظاهر التفوق الاستعماري الأبيض» الذي يستمرّ في «قهر الشعوب في هذه الأمة وحول العالم»، وأضافت: «أنشئت أنظمة القمع لتغذية إمبراطورية ذات شهية نهمة للتدمير والعنف، وأنشئت مؤسسات للترهيب والتنمر وخنق أصوات أولئك الذين يقاومون».

وهاجمت فاطمة محمد في كلمتها القواعد السياسية العنصرية الأميركية القائمة على «تفوق العرق الأبيض والقتل بالحروب والطائرات من دون طيار، وشراء المواقف والذمم». قالت في تحدٍ: «لن يشتري المستثمرون أخلاقنا». واتهمت الجيش والشرطة في الولايات المتحدة بأنها قوى فاشية وأدوات للقمع والقتل.

وتابعت كلماتها بالقول: «للثورة صوت عالٍ على الرغم من عدم بثها على التلفزيون. لم نعُد نستسلم للظالمين. لم نعُد نضع أملنا في وعيهم الفاسد، سنحمي النضال الذي يقربنا جميعاً من إسقاط كل المؤسسات القمعية، فالمستقبل الحتمي للمضطهدين في كل مكان، وإن إمبراطوريات الدمار الكبرى قد سقطت من قبل. كذلك هؤلاء. فليبدأ القتال منذ الآن». داعية زملاءها الخريجين الجدد إلى تفكيك وتحدي الرأسمالية، وأن يصبوا غضبهم على هذا الواقع وتغييره ليصبحوا «وقود النضال ضد الرأسمالية والعنصرية والإمبريالية والصهيونية في جميع أنحاء العالم».

خطاب فاطمة أحدث هزّة كبيرة في أوساط الحركة الصهيونية والحزب الجمهوري بشكل خاص. فجاء الهجوم الصهيوني العنصري ضدها ليؤكد ما ذهبت إليه الطالبة النجيبة في خطابها، ففي الوقت الذي كانت تقف فيه فاطمة واثقة من كلماتها وموقفها كان الخوف واضحاً يكشف قلق الحركة الصهيونية وأنصارها في واشنطن وتل أبيب. القلق والخوف مما ستحمله الأجيال والسنوات المقبلة. وأشار بعضهم إلى ذلك صراحة بالقول إنّ «الذين انتخبوا فاطمة محمد لتتحدث باسمهم في جامعة نيويورك وصفقوا لها في حفارة يعرفون موقفها جيداً، إنهم القُضاة والمشرعون والنواب وقادة الرأي القادمون بعد سنوات قليلة فقط».

في الوقت الذي كانت فيه فاطمة محمد تلقي كلمتها في جامعة نيويورك كانت تجري فعاليات مؤتمر «هرتسيليا للأمن» في فلسطين المحتلة. ومن يتابع المؤتمر لن يحتاج إلى كثير عناء، حتى يلمس التوتر الصهيوني من التحولات المتسارعة الجارية في المنطقة والعالم، ويرى الخوف في عيون الصهاينة من المستقبل الغامض. ربما لذلك اختاروا للمؤتمر شعاراً مُوفقاً «إسرائيل في زمن اللاوثوق» ليعكس اللحظة الراهنة التي يعيشها الكيان وحلفاؤه.

وفي الوقت الذي كانت فيه فاطمة محمد تهزّ بكلماتها وموقفها أركان الحركة الصهيونية، وفي خطاب لا ينقصه الوضوح، كان رئيس سلطة أوسلو محمود عباس يشحذ ويتسول ويهذي ويتوسل في الأمم المتحدة، ويقدّم خطاباً بائساً مهزوماً يؤكد حالة الخواء والسقوط والفشل التي وصل إليها جمع المهزومين في رام الله وجماعات التطبيع «والسلام» في القاهرة وعمّان وإمارات النفط والدجل من أقطاب «الاتفاق الإبراهيمي» سيئ الصيت والاسم.

هكذا تحدّثت فاطمة الي

* كاتب فلسطيني

* كاتب عربي - حسابه على تويتر
@asadabukhalil

**الحدث** تزدحم المؤشّرات في السياق الإيراني - الأميركي - الإسرائيلي، ليس فقط على مستوى التهديدات والتوعّد بحروب قريبة، بل أيضاً، وهنا المفارقة، على مستوى الأحاديث والتسريبات عن توجّه إلى اتّفاقات وتسويات. وإذ لا يزال من المبكر الجزم بما سيعقب تلك المؤشّرات، فإن ما يمكن استشفافه من الحركة الحالية هو أن ثمّة توجّهاً «ديبلوماسياً» أميركياً لا يحظى برضى تل أبيب، وتسعى الأخيرة إلى استكشاف معالمه، والتحذير من خطورة المضيّ فيه من دون أثمان

## زحمة إسرائيلية في واشنطن: «اتفاق الضرورة» مع طهران «كارثي»

**يحيى دبوق**

تردُّ، منذ أسابيع، مؤشّرات إسرائيلية حيال الملفّ الإيراني في اتّجاهَين: الأول، يتمثّل في تهديدات أُطلقت على لسان مسؤولي الصفّ الأول من سياسيين وأمنيين، تحذّر من «اقتراب» الحرب بشكلها الواسع وعلى جبهات عدّة، على خلفية تقدّم عملية التخصيب الإيرانية التي باتت قريبة جدّاً من إنتاج سلاح نووي، وهي تهديدات لم تستثنِ أحداً من مركّبات المحور المقابل، وجاءت مفرطة ومباشرة مع إشارات إلى توتّب إسرائيلي وجهوزية فورية للقتال. أمّا الاتّجاه الثاني، فيتمثّل في تسريبات إسرائيلية عن أن هناك «توجّهاً ما» لدى الإدارة الأميركية لإعادة إحياء المفاوضات مع إيران، تمهيداً للتوصّل إلى اتفاق ما زالت إمكانياته وحدوده غير واضحة. وأُضيف إلى ما تقدّم، الإعلان عن مناورة عسكرية إسرائيلية تحاكي حرباً على الجبهة الشمالية، بما يشمل إيران وسوريا ولبنان. وعلى رغم كونها معدّة سلفاً، إلا أنه أُريد لها أن تتساوق مع التهديدات المُشار إليها، وهو ما ظهّرته المواقف والتحليلات والتعليقات المرافقة لها.

وتزامن كلّ ذلك مع تسريبات لافتة في توقيتها ومضمونها، عن «عرض» أميركي على إسرائيل للتخطيط العسكري المشترك في ما يتعلّق بإيران، قال مراقبون إن تل أبيب تمهّلت في قبوله على خلفية خشيتها من «تكبيل» يدها في حال قرّرت العمل منفردة في مواجهة طهران. في المقابل، تحدّث الإعلام العبري، نقلاً عن مصادر أميركية وإسرائيلية وأوروبية، عن زيارة لكبير مستشاري الرئيس الأميركي، بريت ماكغورك، إلى سلطنة عمان سرّاً، من أجل مناقشة إمكانية القيام بخطوة ديبلوماسية حيال إيران.

أعلن عن زيارات لمسؤولين إسرائيليين إلى واشنطن، ترتبط مسؤولياتهم بالشأن الأمني والعسكري والشؤون الاستراتيجية (أ ف ب)

ووفقاً لمصادر إسرائيلية مسؤولة (موقع «والا» العبري)، فإن «البيت الأبيض يريد من خلال سلطنة عمان، معرفة ما إن كان الإيرانيون معنيّين باتّخاذ خطوات من شأنها تقييد برنامجهم النووي وإن نسبياً ومحلياً، مع العمل على تهدئة الوضع الإقليمي، وما هو الثمن الذي يريدونه في المقابل». وتُوّج جميع ما تَقدّم بإعلان «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» إغلاق التحقيق في منشأة «ماريفان» الواقعة في جنوب مدينة أصفهان، والتي دأبت إسرائيل على الترويج لكونها جزءاً من مشروع السلاح النووي الإيراني، وهو ما دفعها إلى اعتبار الإعلان «ضربة قاسية جداً» من شأنها إزالة واحدة من أهمّ العراقيل التي منعت عن إيران «تبييض صفحتها» دولياً.

في خضمّ ذلك، أعلن عن زيارات لمسؤولين إسرائيليين إلى واشنطن، ترتبط مسؤولياتهم بالشأن الأمني والعسكري والشؤون الاستراتيجية، ومن بينهم رئيس «مجلس الأمن القومي»، تساحي هنغبي، ووزير الشؤون الاستراتيجية، روني ديرمر، اللذان التقيا مستشار الأمن القومي الأميركي، جيك سوليفان، لمناقشة «البرنامج النووي الإيراني والتطبيع مع المملكة العربية السعودية». وبدا لافتاً، أيضاً، توجُّه رئيس الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك)، رونين بار، إلى واشنطن توازياً، للقاء المسؤولين الأميركيين، وفي المقدمة مسؤولو «سي آي إيه»، لمناقشة «التهديدات الإيرانية وأوضاع الفلسطينيين» في الأراضي المحتلة. وبناءً على هذه الحركة، يمكن القول إن ثمة تطوّراً ما، غير تصعيدي، في السياق الأميركي - الإيراني، تخشى إسرائيل من إمكانية أن يُفضي إلى تفاهم ما، بما لا يتوافق مع الحدّ الأدنى من المصالح الإسرائيلية.

وفي ذلك، يشار إلى الآتي:

- إن كانت المعطيات الراهنة مقدّمة لتفاهم إيراني - أميركي، فمن شأن ذلك أن يحسم الاختلاف في التقديرات حول خلفية التهديدات الإسرائيلية الأخيرة. إذ ستكون هذه موجّهة إلى الحليف أكثر من كونها إلى العدو، علماً أن الولايات المتحدة لن تكون

> **التهديدات الإسرائيلية موجّهة إلى الحليف الأميركي أكثر منها إلى العدو الإيراني**

مستاءة من تهديدات، من شأنها أن تدفع الإيراني، نظرياً، إلى قبول ما يُعرَض عليه أميركياً، مع الأمل بتليين نسبي في الأثمان التي يطلبها في المقابل.

- تبرز من بين الزيارات الإسرائيلية لواشنطن، زيارة رئيس «الشاباك»، الذي ينحصر اختصاصه في الأمن العام والتهديدات الداخلية. فهل تعني حركته الانخراط في جهود التنبيه إلى حجم التهديد الإيراني، والتحذير من خطورة التوجّه إلى اتفاق ما بين أميركا وإيران، لا يراعي هذا الاعتبار؟

- قد يكون «خضوع واستسلام» «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» (وفقاً للتعبير الإسرائيلي) أمام إيران، دليلاً على «نضوج» التفاهم بين الحليف الأكبر لإسرائيل، والعدو الأكبر لها، أو على كونه في الطريق إلى «النضوج».

ذلك أن الوكالة ليست في وارد معاكسة الإرادة الأميركية، فيما هذه الأخيرة لا مصلحة لها في أن تحيّد سلاحاً موجّهاً ضدّ إيران (منشأة ماريفان)، من دون مقابل مُجدٍ.

على أن أكثر ما يثير خشية إسرائيل هذه المرّة، هو الآتي:

- المفاوضات بين الجانبين، الأميركي والإيراني، جاءت بطلب ومسعى أميركيَّين، بلمس تجاوباً إيرانياً معهما بفعل محفّزات. وهذه أولى «الدعسات» الناقصة التي تقدم عليها الإدارة من وجهة نظر إسرائيل.

-في حال مباشرة التفاوض، ستكون إيران أكثر قوة وثقة وتمسّكاً بمواقفها ومطالبها، قياساً بما كانت عليه عشية انتهاء جولة التفاوض السابقة مع الأميركيين. فلدى طهران الآن أوراق ضغط تتجاوز مسألة البرنامج النووي والتهديد بإمكانية التقدّم فيه، أولاها العلاقة المتعمّقة مع روسيا عبر إمدادها بالسلاح المسيّر وغيره من الوسائل القتالية، ومكانة إيران التي تعزّزت كثيراً في المرحلة الأخيرة في ظلّ التراجع الأميركي في المنطقة، وكذلك فشل الرهانات على الخيارات البديلة لإسقاط نظامها، والنفوذ الإقليمي الإيراني الذي بقي على حاله واتّسع، ولم يكن الحدّ منه ثمناً مقابل «انفتاح» الأنظمة العربية على إيران وعلى سوريا.

- قد تقدم واشنطن على إبرام اتفاق على قاعدة معادلة «الهدوء مقابل الهدوء»، بما لا يجبر طهران على تقديم تنازلات ملموسة وحقيقية، فيما تُرفع عنها في المقابل الضغوط والعقوبات، ولا يحصل الأميركيون منها سوى على وعود بتخفيف «العدائية الإيرانية» ضدهم. وتعدّ هذه النتيجة كارثية من ناحية تل أبيب، ليس فقط لكونها نوعاً من الانكسار أمام إيران، بل لأنها ستشجّع الأخيرة على مواصلة السير في طريقها، مع مامن من ثمن تجاوزها «الخطوط الحمر». أما الدول التي كانت مرشّحة كي تتصدّر الحلف المنشود لمواجهة إيران، فستتأكد من أنه لا يمكن الاتّكال على الولايات المتحدة، وأن خيار «مهادنة» طهران هو الأكثر إفادة لها، بينما التحالف مع تل أبيب لا يجدي نفعاً.

ما يعني عمل هذه الأجسام على تحقيق مطالب الدول الداعمة، والتي تختلف في ما بينها في كثير من القضايا، من جهة ثالثة.

وبينما دارت شائعات حول دعوة «قوات سوريا الديموقراطية» (قسد) وذراعها السياسي (مجلس سوريا الديموقراطية - مسد) إلى الاجتماع، كون الأخيرة ذات نفوذ على الأرض، وتمثّل بشكل من الأشكال جزءاً من مكوّنات المجتمع السوري، نفت مصادر كردية صحّة تلك الأنباء، مؤكدةً أن «الإدارة الذاتية» لم تتلقَّ أيّ دعوة من هذا النوع، وهو ما أكدته مصادر المعارضة أيضاً لـ«الأخبار»، متحدّثةً عن وجود «فيتو» تركي على دعوة كهذه، لا يمكن تجاوزه في الوقت الحالي. أمّا في المضمون، فمن المنتظر مناقشة إمكانية نقل مقرّ اجتماعات «الدستورية» من جنيف، التي ترفض دمشق وموسكو الاجتماع فيها، بعد تخلّي سويسرا عن حيادتها وفرضها عقوبات على روسيا بسبب الحرب الأوكرانية، إلى مدينة أخرى، من بينها دمشق التي ترى الحكومة السورية أنها المكان الأمثل لمناقشة الدستور السوري. ويلقى هذا التوجّه دعماً من أطراف إقليميين عديدين في الوقت الحالي، انضمّت إليهم أخيراً أنقرة التي لم تُبدِ أيّ اعتراض على هذه النقطة، وفق ما تؤكّده مصادر المعارضة، لافتة إلى وجود مدن أخرى مقترَحة؛ من بينها عواصم عربية، مضيفةً إن هذه النقطة لا تُعدّ في الوقت الحالي إشكالية في ظلّ جمود المسار الأممي من جهة، وعدم الاتفاق على صيغة عمل موحّدة جامعة للمعارضة السورية من جهة أخرى.

وعلى الرغم من جهود إعادة التوحيد، تواجه المعارضة فعلياً مشكلة عميقة، تقلّل المصادر نفسها من إمكانية تجاوزها، موضحةً أن هذه المشكلة تتعلّق بشكل أساسي باستمرار حالة التبعية لأطراف دولية داعمة، ما يعني أن أيّ اتّفاق يجري التوصّل إليه، قد يتعثّر تنفيذه في حال رفضه من قِبَل أولئك الأطراف. وتستنتج المصادر من ذلك أن اجتماع جنيف «سيكون صورياً أكثر منه خطوة فعلية على الأرض، تحتاج للمضيّ فيها إلى خطوات أخرى عديدة، تعيد هيكلة المعارضة بشكل جذري، وخصوصاً بعد التغيّرات السياسية الإقليمية العديدة حول سوريا، على رأسها الانفتاح العربي على دمشق، والمفاوضات المستمرّة بين الأخيرة وأنقرة، والتي ستُحدث في حال نجاحها تحوّلاً جوهرياً على الصعيدين السياسي والميداني».

**سوريا**

## اجتماع جنيف المعارض: محاولة للملمة الشتات

بعد فشل استمرّ لسنوات، وانتهى إلى تجميد المسار الأممي للحلّ في سوريا، تحاول المعارضة، بمكوّناتها المختلفة، البحث عن صيغة تعيد إلى «هيئة التفاوض» صفتها الاعتبارية، والتي خسرتها بشكل تدريجي مع انسحاب معظم الكتل منها. يأتي ذلك استعداداً لمرحلة جديدة يُنتظر في خلالها تنشيط المسار الأممي، على وقع التغيّرات السياسية الإقليمية حول سوريا

**علاء حلبي**

تلتقي، اليوم السبت وغداً الأحد، مجموعة من ممثّلي مكوّنات المعارضة السورية في جنيف السويسرية، أملاً في الخروج بموقف توافقي يعيد هيكلة «هيئة التفاوض»، ويمنحها تفويضاً باسم مكوّناتها التي تشكّلت منها في بداياتها، استعداداً على ما يبدو لإعادة تفعيل المسار الأممي المجمّد للحلّ في سوريا. ويأتي الاجتماع الذي سيضمّ ممثّلين عن «الائتلاف» و«هيئة التنسيق» و«منصة موسكو»، إلى جانب مستقلّين وممثّلين عن بعض القبائل، وفق القائمين عليه، بهدف وضع حدّ للخلافات السابقة، ومناقشة جميع القضايا العالقة. كما يأتي بعد توقّف اجتماعات مكوّنات المعارضة منذ نحو أربع سنوات، وفي ظلّ نفض السعودية، التي كانت تُعدّ الداعم الأبرز لـ«الهيئة»، يدها من هذه الأخيرة، وهو ما يفسّر اختيار جنيف لعقد اللقاء الذي كانت تستضيفه الرياض عادةً. وبينما أكدت «هيئة التنسيق» و«منصة موسكو» المشاركة في الاجتماع، أعلنت «منصة القاهرة» استمرار مقاطعتها إيّاه، مبرزةً ذلك بعدم وجود «مستقبل واضح للجنة الدستورية أصلاً»، بالإضافة إلى «حالة التخبّط الإداري في الهيئة، وسياساتها غير المتّزنة في ما يخصّ فصل الأعضاء وإعادتهم بعد سنوات على رغم استمرار أسباب فصلهم»، واتّخاذ «قرارات فردية لا تختلف كثيراً عمّا يقوم به النظام الذي نعارضه»، وفق بيان للمنصة. وتكشف مصادر في المعارضة السورية، لـ«الأخبار»، أن اجتماع جنيف يجيء بعد توصيات عديدة تلقّتها «هيئة التفاوض» من ممثّلين عن دول غربية، بالإضافة إلى توصية خاصة من المبعوث الأممي إلى سوريا، غير بيدرسون، بهدف الاستعداد للمرحلة المقبلة، والتي يأمل خلالها بيدرسون أن تعيد المبادرات العديدة القائمة حالياً (المبادرة العربية، ومسار أستانا الروسي) تفعيل المسار الأممي. ويتطلّب ذلك تحضيراً من المعارضة، التي تعرّضت لانتقادات عديدة خلال المرحلة الماضية بسبب الاستئثار بقيادتها من قِبَل بعض الأطراف، وعلى رأسها «الإخوان المسلمون»، الذين شكّلوا السبب الرئيسي في تخلّي السعودية عن دعم «الهيئة»، وهو ما يفسّر الهجوم الحادّ الذي شنّته شخصيات محسوبة على «الإخوان» على القائمين على الاجتماع قبل عقده. وأشارت المصادر إلى أن ممثّلين عن دول غربية وعربية سيشاركون في اللقاء، مشكّكةً في إمكانية الوصول إلى نتائج واضحة، لأسباب عديدة على رأسها الشرخ الكبير داخل المعارضة من جهة، والانفصال الواضح بين واجهتها السياسية والقوى الموجودة على الأرض من جهة ثانية، بالإضافة إلى استمرار حالة الاختراق التي تتعرّض لها من دول تمكّنت طوال السنوات الماضية من بناء أجسام تابعة لها داخلها،

اجتماع جنيف يجيء بعد توصيات عديدة تلقّتها «هيئة التفاوض» من جهات غربية وأممية، بهدف الاستعداد للمرحلة المقبلة (أ ف ب)



**تقرير** بحماية دفاع جوي تديره قوات بريطانية وفرنسية ورومانية. توافد 47 زعيماً من مختلف أنحاء أوروبا وجوارها، أوّل من أمس، إلى مولدوفا، لحضور القمّة الثانية لـ«المجموعة السياسية الأوروبية»، والمعنيّة بمناقشة القضايا الأمنية المتعدّدة في القارة القديمة، بدءاً من الحرب في أوكرانيا، وصولاً إلى الصراع المستمرّ بين أرمينيا وأذربيجان، والتوتّرات المتصاعدة في منطقة البلقان. واستغلّ الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، القمّة للضغط من أجل انضمام بلاده إلى «حلف شمال الأطلسي» والاتحاد الأوروبي، وطالب المجتمعين بتقديم ضمانات أمنية لكييف

## ضغوط أميركية لتوسيع «الناتو»: «مولدوفا» لا تحسم عضوية كييف

**لندن - سعيد محمد**

بينما تجمّع القادة الأوروبيون في قلعة ميمي القديمة في الشرق من العاصمة المولدوفية كيشناو، على بعد 21 كيلومتراً فقط من الحدود الأوكرانية، لحضور القمّة الثانية لـ«المجموعة السياسية الأوروبية»، وصل الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، شخصياً إلى القمّة، لإيصال رسالة صريحة بدا وكأنها كُتبت في واشنطن: لقد حان الوقت لإظهار جدّيتكم في قبول انضمام أوكرانيا إلى «حلف شمال الأطلسي» (الناتو) والاتحاد الأوروبي، وتزويد كييف بضمانات أمنية. وتضمّ المجموعة، التي تعود فكرة تأسيسها إلى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، قادة سبع وعشرين دولة أعضاء في الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى قادة عشرين دولة من جوار الاتحاد من مثل بريطانيا وأوكرانيا والنرويج ومولدوفيا وأذربيجان وأرمينيا، وعُقدت قمّتها الافتتاحية في براغ في تشرين الأول من العام الماضي، بغرض أن تكون منصّة فريدة لجميع قادة أوروبا - باستثناء روسيا وبيلاروسيا - لمناقشة القضايا الأمنية ومعالجة النزاعات الإقليمية في بيئة أقلّ بيروقراطية من الاتحاد الأوروبي أو «الناتو». ونقلت الصحف عن دبلوماسي أوروبي كبير قوله آنذاك إن «هذه القمّة تتيح لنا الإحساس بوجود جهد جماعي للتعاطي مع الأمن الأوروبي المهتزّ، والاقتصاد المتصدّع، وعديد الدول الهشّة للغاية في كلّ مكان».

وعُقدت القمّة الجديدة، التي وفّرت قواتٌ بريطانية وفرنسية ورومانية الحماية للمشاركين فيها من خلال نشر شبكة من الدفاعات الجوية المؤقّتة، على بعد ثمانية كيلومترات فقط من ترانسنيستريا، وهي جيب انفصالي في مولدافيا يسيطر عليه موالون لروسيا ويُخشى من أن يكون أيّ وقت جبهة جديدة في الحرب الأوكرانية، وفي ظلّ تصعيد عسكري روسي كبير ضدّ العاصمة الأوكرانية كييف، ومخاوف حقيقية من تفجّر نزاعات أمنية جديدة على أطراف الاتحاد، وتحديداً في كوسوفو في البلقان، كما بين أذربيجان وأرمينيا. ومن غير المتوقّع أن تتخذ القمّة أيّ قرارات محدّدة، لكنّ الجليّ أن هذه المنصّة تحولت بشكل أو آخر إلى تجمع بلا دستور مكتوب، لأجل توحيد مواقف الأوروبيين بعد ترك بريطانيا عضوية الاتحاد الأوروبي، ومن خلال أطر أقلّ رسمية تسمح بحوارات صريحة بين القادة حول مشاكل الأمن تحديداً. ومع أن الولايات المتحدة غير مدعوّة للحضور، إلّا أن وجودها ملموس من خلال العديد من القادة المغالين في استعداء موسكو، والدعوة إلى تكريس هيمنة واشنطن على الشأن الأوروبي.

وبعد الافتتاح، انقسم القادة إلى مجموعات أصغر، عقدت موائد مستديرة حول قضايا مختلفة، مع التركيز على محاور الأمن والطاقة وأنظمة الاتصال. ووفقاً لتقارير إعلامية، فقد كان لدى المشاركين متّسع من الوقت لحضور اجتماعات ثنائية، فيما علم أن اجتماعاً عُقد بين زعيمَي أرمينيا وأذربيجان، بوساطة رئيس المجلس الأوروبي شارل ميشيل، وانضمّ إليه لاحقاً الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والمستشار الألماني أولاف شولتس، سعياً إلى تهدئة الخواطر بين الجمهوريتَين السوفياتيتَين السابقتَين، واللتين لا تزالان على خلاف بشأن مناطق متنازَع عليها تسبّبت باندلاع نزاعات عسكرية غير مرّة. كما دُعي زعيما كوسوفو وصربيا إلى اجتماع، بعد أن أصيب هذا الأسبوع حوالي خمسين من جنود قوة حفظ السلام التابعة لـ«الأطلسي» في شمال كوسوفو، أثناء اشتباكات مع محتجّين صرب غاضبين، ما أثار القلق من تجدّد الصراعات في يوغسلافيا السابقة، في وقت تحاول فيه واشنطن توحيد القارة ضدّ روسيا.

ويبدو اختيار كيشناو موقعاً لعقد القمّة مقصوداً، على رغم الصعوبات اللوجستية والوضع الجيوسياسي غير المستقرّ في البلد المضيف، إذ تَظهر السلطات المولدوفية في حاجة ماسّة إلى

> **تعمل بروكسل على خطّة تمويل طويلة الأجل لأوكرانيا بقيمة عشرات المليارات من اليوروات**

رفع وتيرة الدعم الغربي لها، لمواجهة تحدّيات شعبية من قِبَل موالين لروسيا على أراضيها. وكان وافق الاتحاد الأوروبي، الثلاثاء، على فرض عقوبات على أثرياء مولدوفيين في المنفى، متّهمين بتمويل وتحريك أنشطة لزعزعة الاستقرار ضدّ الحكومة الموالية للغرب، فيما تأمل كيشيناو الآن أن تسفر القمّة عن التزامات بالدعم المالي أو السياسي أو الأمني من القادة الزائرين، ومزيد من التشبيك مع منظومات الاتحاد الأوروبي في الاقتصاد والاتصالات، على نحو يبعث برسالة قوية إلى موسكو حول الهوية الأوروبية للدولة الصغيرة المحصورة بين أوكرانيا ورومانيا.

على أن نجم القمّة كان - كما هو متوقّع - الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، الذي بدا منتفخاً بالثقة بعد توافق الحلفاء الغربيين على إطلاق برنامج لتدريب الطيّارين الأوكرانيين على قيادة طائرات «إف 16» الأميركية الصنع. واستغلّ زيلينسكي حضوره لمطالبة الأوروبيين بدعم طلب كييف الانضمام إلى عضوية «الأطلسي» والاتحاد الأوروبي، وممارسة الضغوط على حكومات القارّة القديمة لتقديم ضمانات أمنية لبلاده. وقال للمجتمعين إن «أوكرانيا مستعدّة لتكون جزءاً من حلف شمال الأطلسي، ونحن في انتظار أن يكون الحلف بدوره جاهزاً»، مشدّداً على أن «الشكوك يجب أن تتلاشى، لأن قرارات إيجابية بشأن أوكرانيا بهذا الخصوص ستكون إيجابيّة لكلّ أوروبا». وبلغة طغى عليها التهويل، أضاف: «في فيلنيوس، هناك ضرورة لتوجيه دعوة واضحة لأوكرانيا للالتحاق بالناتو - في إشارة إلى القمّة السنوية للحلف المزمع عقدها في العاصمة الليتوانية الشهر المقبل -»، وأن «غياب الضمانات الأمنية لبلاده، ضمانة باستمرار الحرب».

وتنظر أوكرانيا، منذ فترة طويلة، إلى عضوية التحالف العسكري الذي تقوده الولايات المتحدة كأساس لدفاعها وأمنها في المستقبل، لكنّ الحلفاء منقسمون حول كيفية وموعد حدوث ذلك، وما إذا كان تقديم ضمانات أمنية ثنائية لكييف، ضرورياً كخطوة تحضيرية إلى حين ترتيب عملية الانضمام في وقت لاحق. وفي هذا الإطار، دعا ماكرون، في خطاب عشيّة القمّة، إلى منح أوكرانيا «مساراً» لنيل عضوية «الأطلسي» الشهر المقبل، في ما بدا تغييراً في موقف باريس التي كانت مع الولايات المتحدة وألمانيا حذرة بشأن تحديد جدول زمني لعضوية أوكرانيا، بينما تدعو المملكة المتحدة وبولندا ودول البلطيق إلى البتّ في ذلك سريعاً. ويبدو أن مناقشات مكثّفة جرت بين الحلفاء الغربيين بشأن ترتيب تعهّدات أمنية لأوكرانيا مع دول «الناتو» بصفتها الفردية، ثمّ ترتيب تعهّدات أخرى من خلال منظّمات متعدّدة الأطراف، بما فيها تلك الموجودة خارج «الأطلسي»، سعياً لمنع اعتبار هكذا خطوة تصعيداً إضافياً ضدّ روسيا. وتدعم ألمانيا هذا التوجّه؛ إذ نُقل عن وزيرة خارجيّتها، أنالينا بيربوك، القول إنه «في حين أن الناتو لا يزال منفتحاً على مبدأ قبول أعضاء جدد، فمن الواضح أنه لا يمكننا التحدّث عن قبولهم في خضمّ الحرب». لكنّ كاجا كالاس، رئيس وزراء إستونيا، قال لدى استقباله من طرف مايا ساندو، رئيسة مولدوفا: «إننا نرى الضمان الأمني الوحيد الفاعل لأوكرانيا هو عضوية الناتو».

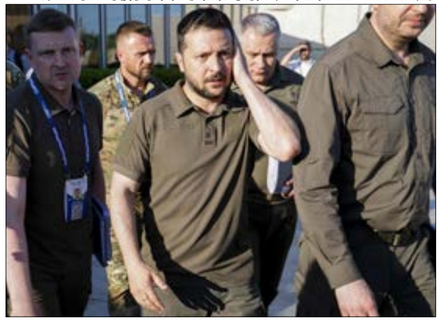

نجم القمّة كان - كما هو متوقّع - الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي (أ ف ب)

السودان

## إشهار سلاح العقوبات الأميركي
# استراتيجية إطالة الصراع تتكامل

محمد عبد الكريم أحمد

في عودة خطيرة إلى سياسة معاقبة السودان ومسؤوليه، أقرّت إدارة جو بايدن، مطلع حزيران الجاري، عقوبات مالية وقيوداً على تأشيرات السفر ضدّ الأطراف التي سيثبت تورّطها في العنف الدائر في هذا البلد. وجاءت هذه الخطوة بعد يوم واحد فقط من إعلان الجيش السوداني تعليق مشاركته في محادثات جدة، في ما بدا دلالة على اقتناعه بأن راعيَي المحادثات (السعودية والولايات المتحدة) لا يمارسان الضغط المتوقّع من قِبَله على قوات «الدعم السريع» (لاعتبارات المصالح الاقتصادية لدى الأولى، والسياسة الاستراتيجية الأوسع في القرن الأفريقي وإقليم الساحل وتشابكها مع الأدوار الروسية والإقليمية لدى الثانية)، وأنهما يعملان على إطالة المفاوضات من دون وضع جدول أعمال واضح وملزم لإعادة الاستقرار، على نحو سيكون من شأنه في نهاية المطاف تكريس الوضع القائم.

### العقوبات الأميركية: مقاربة مضلّلة

جاء قرار فرض العقوبات تنفيذاً لأمر جديد كان الرئيس الأميركي، جو بايدن، قد وقّعه مطلع أيار الفائت، يجيز فرض عقوبات على «المسؤولين عن تهديد السلم والأمن والاستقرار في السودان»، أو من يعوّقون الانتقال الديموقراطي فيه، أو يستخدمون العنف ضدّ المدنيين، أو مَن أدينوا بارتكاب انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان. وعلى رغم تأكيدات مسؤولين أميركيين أن القرار غير ذي صلة بقرار الجيش السوداني تَرْك محادثات جدة، بالإشارة إلى الإعداد له والإعلان عنه بالفعل في وقته (مطلع أيار)، إلّا أن توقيت إنفاذه يعاكس ذلك.

واستهدفت العقوبات، في شقّها المالي، أربع شركات «تُحقّق دخلاً من الصراع في السودان وتسهم فيه» بحسب وزارة الخزانة الأميركية، بينما شملت قيود منح التأشيرات مسؤولين من الجيش و«الدعم السريع» و«شخصيات محسوبة على نظام عمر البشير» (لم تعلَن أسماء هذه الشخصيات بعد، لكن ورد أن قائمتها لن تشمل رئيس «مجلس السيادة» عبد الفتاح البرهان، أو نائبه السابق محمد حمدان دقلو «حميدتي»).

وبالنظر إلى قائمة الشركات الأربع (والتابعة بالتساوي لـ«الدعم» والجيش)، تتبيّن نيّة استخدام سلاح العقوبات كوسيلة مضلّلة للضغط على «طرفَي الأزمة»، إذ إن استهداف شركة الصناعات الدفاعية المملوكة للجيش، أحدث نوعاً من الصدمة كونه موجّهاً ضدّ مؤسّسة دولتية تعمل وفق معايير معروفة مسبقاً، بينما أنشطة شركات «الدعم» (ومن أبرزها شركة الجنجويد للأنشطة المتعدّدة القابضة) تقوم بالأساس على معاملات سرّية ووسيطة مع شركات وأجهزة خارج السودان، وتحديداً في الإمارات، وربّما مع شركة «فاغنر» الروسية. ومن ثَمّ، فإن تطبيق العقوبات يستهدف بالأساس الضغط على الجيش السوداني، وربّما يدفع من السعودية، التي يبدو أن قرار الأخير قد أصابها بالصدمة، وأنها تعتبره انتقاصاً من دورها ومكانتها الإقليمية، كما يستهدف تكثيف الضغط الأميركي «المزدوج» على أطراف الصراع، من دون الدفع بالضرورة نحو تسويته سياسياً.

جاءت العقوبات تنفيذاً لأمر جديد كان الرئيس الأميركي، قد وقّعه مطلع أيار (أ ف ب)

### واشنطن والرياض: ماذا بعد؟

لم تبذل الرياض وواشنطن الجهود التي كانت ضرورية لحسم الأزمة في السودان عبر وضع كلّ طرف أمام مسؤولياته، وجنحتا إلى تأجيج الأزمة والابتعاد عن جذورها الحقيقية، كما أظهرتا نوعاً من المماثلة لقوات «الدعم السريع» وخصوصاً، التي ظلّت الأطراف الخارجية الداعمة لها مُطلَقة من الباب الخلفي لفرض تسوية وفق ما تتطلّع إليه. وبالتوازي مع هذا التلاعب السعودي - الأميركي، ومواصلة الرياض شكلاً أداء دور القوّة الوازنة في الوساطات الدولية والإقليمية من دون تقديم مبادرة ملموسة، بدت المتغيّرات الإقليمية أكثر ملاءمة لمناورة البرهان، ومحاولته حسم الصراع لمصلحته، ومنع العودة إلى خطوط ما قبل 15 نيسان (وفق ما كانت تلمّح إليه محادثات جدة من منظوره).

> لم تبذل الرياض وواشنطن الجهود التي كانت ضرورية لحسم الأزمة في السودان

وجاء تجدّد الجهود الأفريقية لحلّ الأزمة، وإعلان تركيا وقوفها إلى جانب الجيش السوداني، والتململ المصري الصامت من الوساطة السعودية - الأميركية، ليوفّر ظروفاً مناسبة لرئيس «السيادي» للقيام بمناورته تلك.

في المقابل، يؤشّر إشهار واشنطن سلاح العقوبات مجدّداً إلى عزمها على تعزيز الضغط على الجيش السوداني، وعدم إتاحة الفرصة أمام أيّ طرف لحسم الصراع، ريثما تؤتي الضغوط النتائج المرجوّة. وعبّر عن ذلك - على نحو غير مباشر - مستشار الأمن القومي الأميركي، جيك سوليفان، بملاحظته أن الهدنة الممدّدة لخمسة أيام (من 29 أيار) لم تحظَ باحترام الطرفَين، وأن ذلك يثير مخاوف واشنطن. ودلّت تلك الملاحظة، إضافة إلى ما أكّدته وزيرة الخزانة، جانيت يلين، أن العقوبات تستهدف وقف التدفّقات المالية اللازمة لتمويل دفع «رواتب الجنود»، على تكرار واشنطن أخطاءها السابقة في السودان، وتوقّعها في الوقت نفسه نتائج مغايرة، وهي السياسة التي ضاعفت من مثالب ما عُرف بـ«الاتفاق الإطاري»، ودفعت البلاد برمّتها إلى المواجهات العسكرية المفتوحة الراهنة، عبر الاكتفاء بتقديم حلول سياسية جزئية، ربّما على نحو متعمّد تماماً. ومن المتوقّع أن تتمدّد هذه الاستراتيجية في المرحلة المقبلة، بتفويض من «شركاء السودان» الخليجيين، سواء تحت مظلّة «الرباعية» أو ثنائياً، في مقابل تبديل بعض القوى الإقليمية المعنيّة سياساتها، وفكّ ارتباطاتها بالتدريج مع السعودية والإمارات في السودان، ومجمل القضايا المشتركة المتعلّقة به وبمستقبله.

العراق

# «التنسيقي» يتراجع: ملامح تسوية لأزمة الموازنة

أثّرت اعتراضات إقليم كردستان، ولا سيما «الحزب الديموقراطي»، على بنود مشروع الموازنة المالية الاتحادية، الخاصة بإيرادات الإقليم من النفط، والية تسويته، والاستقطاعات من رواتب موظّفيه، على طبيعة الاتفاقات السياسية المعقودة مسبقاً بين إداراتَي بغداد وأربيل. ومع ذلك، يسود اعتقاد بأن البوصلة تتّجه نحو تسوية سياسية تبنّاها «الإطار التنسيقي» في إطار مساعيه لاحتواء الأزمة مع كردستان، وحسم ملفّ الموازنة توافقيّاً خلال حزيران الحالي، على قاعدة تلبية مطالب الإقليم.

بغداد - فقار فاضل

تكشف مصادر سياسية في «الإطار التنسيقي» في العراق، لـ«الأخبار»، أن الأخير اتّفق مع قيادات في «الحزب الديموقراطي الكردستاني» على سحب اعتراضاتها والتصويت على الموازنة الثانية، مقابل عدم تأخير الحكومة الاتحادية رواتب موظّفي كردستان ودفعها بطريقة منتظمة. وكان نواب الإقليم اعتبروا أن تعديل المواد 12 و13 و14 من مشروع قانون الموازنة، والمتعلّقة بحصة الإقليم، مثّل تعدّياً على حقوقه، فيما قاطع أعضاء «الديموقراطي» في اللجنة المالية النيابية الاجتماعات التي تعقدها لمناقشة فقرات مسوّدة القانون، قبل التصويت النهائي عليها. وفي المقابل، انتقد نواب محافظات الجنوب والوسط سياسة كردستان، واصفين إيّاها بـ«التعسفية»، ومعبّرين عن تصميمهم على عدم التراجع عن التعديلات التي أجرتها اللجنة المالية بشأن مستحقّات الأكراد.

وتُرجّح أوساط مراقبة للشأن السياسي، توصُّل الأقطاب المنخرطة في مساعَي حلّ الأزمة إلى تسوية سياسية مؤقّتة، وذلك بعد اجتماعات ونقاشات أجرتها قيادات متنفّذة في «التنسيقي» مع الحزبَين النافذَين في الإقليم، «الاتحاد الوطني الكردستاني»، و«الحزب الديموقراطي الكردستاني». وفي هذا السياق، يؤكد مصدر في «التنسيقي»، لـ«الأخبار»، مشترطاً عدم الكشف عن اسمه، أن «مفهوم التسوية السياسية مع الحزب الديموقراطي الكردستاني تكرّر خلال نقاشات الإطار، تلافياً لتفاقم الأزمة الحاصلة»، معتبراً أن «التنسيقي لديه اتّفاق مع الإقليم، ولذا سيكون مجبَراً على تمرير مطالب أحزابه، كونها مساهمة في دعم الحكومة الحالية». ويلفت المصدر إلى أن «قوى الإطار ليست جميعها على الموقف نفسه من قضية التعديلات التي أجرتها اللجنة المالية على الفقرات الخاصة بالإقليم، التي يحتويها مشروع الموازنة»، مضيفاً أن «المقرّبين من رئيس الحكومة، محمد شياع السوداني، رافضون لهذه العرقلة التي فتحت باب الخلافات مع كردستان من جديد، ويعتقدون أن الاتفاق السياسي الذي على أساسه تشكّلت الحكومة، كان صريحاً وواضحاً في منح الإقليم رواتب موظفيه، والاتفاق على بيع نفطه من خلال شركة النفط الوطنية سومو». ويرى المصدر أن «النواب الذين أثاروا هذه القضية فعلوا ذلك باجتهاد شخصي»، مضيفاً أن «السوداني تدخّل بشكل شخصي لمنع تفاقم الأزمة ووصولها إلى مرحلة المقاطعة، كما حصل سابقاً مع حكومة حيدر العبادي».

من جانبه، يشير النائب في البرلمان عن «الإطار التنسيقي»، محمد البلداوي، إلى أن «الموازنة تأخّرت بسبب المادّتَين 13 و14»، مستدركاً بأنه «خلال الأسبوع المقبل، وسواء حصل الاتفاق أو لم يحصل، سنمضي بإجراءات الموازنة داخل مجلس النواب»، مؤكداً أن هناك «شبه اتفاق على أن تكون لمجلس النواب الكلمة الفصل في حسم الموازنة وتمريرها عن طريق التصويت بالغالبية، حالها حال القوانين الأخرى». ويقول البلداوي، لـ«الأخبار»، إن «الموازنة ستدخل في أزمة التأخير، إن لم تكن هناك اتفاقات سياسية»، مضيفاً أنه «إلى الآن، لم نلمس اتّفاقاً قد نجتاز من خلاله العراقيل التي حالت دون إقرار الموازنة»، لكنّ عضو اللجنة المالية، خليل غازي، يعتقد أن «الاتفاق على المادة 14 في مشروع الموازنة وارد»، معتبراً، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «التغييرات التي طرأت ستضرّ بإقليم كردستان، وقد بذلنا جهودنا لغرض حماية حقوق شعبنا، ونحن مع حكومة بغداد ملتزمون بالاتفاق السياسي الأخير»، متوقّعاً تسوية الاعتراضات، «لأن جميع الأطراف المؤثّرة أصبحت مُتفقة». وفي الاتجاه نفسه، تؤكد القيادية في «الحزب الديموقراطي الكردستاني»، سوزان كوجر، أن «هناك اتفاقاً سياسياً جديداً بين الأحزاب على تمرير الموازنة خلال الأيام المقبلة»، مدافعة بأن «اعتراضنا كحزب ديموقراطي هو دفاع عن حقوقنا المشروعة في الإقليم، وسعي لنيل الحصّة العادلة. وإذا حصل اتفاق سياسي، فالموازنة كاملة من الناحية الفنّية، وهذا سيجعل موعد إقرارها سريعاً».

> «الإطار» وافق على تمرير مطالب الأكراد كونهم مساهمين في دعم الحكومة

غروب الشمس في الناصرية في محافظة ذي قار جنوب العراق (أ ف ب)

إعلانات رسمية

**إعلان**

صادر عن محكمة زغرتا المدنية الناظرة بالقضايا العقارية
غرفة الرئيس طانيوس الحايك
الملف: 2020/588

للمُدعى عليهما: شديد أسعد شديد غالب وماجد أسعد شديد غالب من أرده أصلاً ومجهولي الإقامة حالياً.

تدعوكما المحكمة لاستلام الاستحضار ومُرفقاته شخصياً أو بواسطة وكيل قانوني بموضوع حق مرور للعقار 245 أرده على عقار المُدعى عليهما رقم 239 أرده وعقار المطلوب إدخاله يوسف بوناصيف والمُقامة من المُدعيان يوسف فريد أيوب واسكندر فريد أيوب.

وذلك خلال مُهلة 15 يوماً من تاريخ التبليغ وشهرين من تاريخ النشر وإلا في حال عدم الحُضور سيُصار لمُتابعة إجراءات الدعوى وفقاً للأصول.

الكاتب طنوس بو عيسى

**إعلان مزايدة صادر عن رئيس دائرة**

تنفيذ زغرتا الرئيس طانيوس الحايك
رقم المُعاملة: 2022/30
المُنفذ: انطوان الحايك وكيله الأستاذ باخوس حديد
المُنفذ عليهم: إدوار وشحادة الحايك، البدوية ومرين وجفوى عيسى الحنش، كفرزينا زغرتا مجهولي المقام.

السند التنفيذي: حُكم المحكمة الابتدائية بالشمال رقم 2021/27 تاريخ 2021/5/27 القاضي بإزالة الشيوع على العقار 711 كفرزينا العقارية.

تاريخ محضر الوصف: 2022/5/24، تاريخ تسجيله: 2023/6/1.

المطروح للبيع كامل العقار 711 كفرزينا وهو عبارة عن أرض لا بناء عليها يتم الوصول إليها عبر طريق داخلي قسم منها مُبلّط بحجر صخري أبيض ونصفها من الباطون - قليلة الارتفاع ويحدها طريقان.

مساحة العقار: 235م2، بدل التخمين والطرح: 70500$.

موعد المُزايدة ومكانها: الأربعاء 2023/10/18 الساعة الرابعة بعد الظهر أمام رئيس دائرة تنفيذ زغرتا فعلى الراغب بالشراء وقبل المُباشرة بدفع قيمة بدل الطرح نقداً واتخاذ محل إقامة ضمن نطاق الدائرة ودفع رسوم التسجيل ورسم الدلالة البالغة قيمة 5%.

مأمور التنفيذ
جبور نمنوم



## استراحة

### كلمات متقاطعة 4324

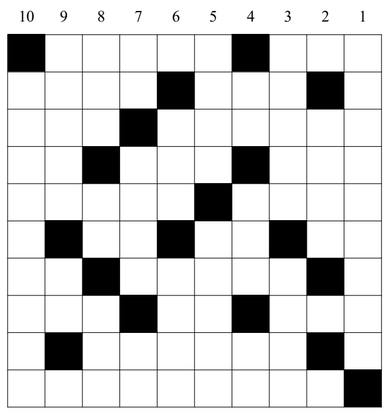

**أفقيا**

1- بيت الجنين – خلاف جنوبي – 2- رمى بالحجارة – حركة المقاومة الفلسطينية – 3- أسرة من الأمراء الدروز اللبنانيين – أداة إستثناء – 4- إعوّج – من الفاكهة – من أسماء البحر – 5- مشيّد – موقع محكمة العدل الدولية – 6- حرف أبجدي انكليزي – حرامي – انكب على الأرض وسجد – 7- غراب بالأجنبية – حرف عطف – 8- يهرب – بواسطتي – قلع العين – 9- مجمعّات مائية – 10- إحدى الطوائف المسيحية

**عمودياً**

1- فريق كرة قدم إسباني – 2- مغنية وممثلة مصرية – 3- مدينة تركية – مشى في الطين – 4- إحترم – أصفر بالأجنبية – قشر وكشط – 5- بطيخ أصفر – دولة أوروبية – 6- خشبة الحائك – مدينة اوسترالية – 7- سعل – مدينة عراقية – حرف عطف – 8- حرف جزم – من الحيوانات – لوى الحبل – 9- مدينة أوكرانية – من الحشرات – 10- فنان لبناني راحل

**حلول الشبكة السابقة**

**أفقيا**

1- الماتادور – 2- سبينوزا – فك – 3- أسامره – 4- المخّ – يفتن – 5- نفي – بروكوف – 6- يا – أر – رو – 7- أفول – حنش – 8- شو ان لاي – 9- رجي – جادو – 10- خوان كارلوس

**عمودياً**

1- اسبانيا – رخ – 2- لب – لفافة – 3- ميامي – را – 4- أنسخ – الشجن – 5- توأ – بر – ويك – 6- إزمير – ما – 7- دارفور – نجر – 8- هتك – حالل – 9- رف – تورنادو – 10- كونفوشيوس

### sudoku 4324

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 7 | | | | 2 | | | 9 | |
| 2 | 9 | | 8 | | 7 | | 4 | 5 |
| | 6 | | | | | | | 2 |
| 6 | | | | 9 | | 3 | | |
| 4 | | | | | | | 8 | 1 |
| | 5 | | 3 | | 1 | | | |
| 3 | | | | 7 | | | 6 | |
| 5 | 7 | | 2 | | 9 | | 1 | 4 |
| | 2 | | 1 | | 6 | | | 3 |

**شروط اللعبة**

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

**حل الشبكة 4323**

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 2 | 9 | 7 | 8 | 5 | 4 | 6 | 3 |
| 6 | 8 | 3 | 2 | 1 | 4 | 5 | 9 | 7 |
| 7 | 5 | 4 | 6 | 3 | 9 | 8 | 2 | 1 |
| 8 | 3 | 7 | 4 | 2 | 6 | 1 | 5 | 9 |
| 9 | 1 | 6 | 8 | 5 | 3 | 7 | 4 | 2 |
| 2 | 4 | 5 | 9 | 7 | 1 | 3 | 8 | 6 |
| 4 | 9 | 1 | 5 | 6 | 7 | 2 | 3 | 8 |
| 5 | 7 | 2 | 3 | 9 | 8 | 6 | 1 | 4 |
| 3 | 6 | 8 | 1 | 4 | 2 | 9 | 7 | 5 |

### مشاهير 4324

| 11 | 10 | 9 | 8 | 7 | 6 | 5 | 4 | 3 | 2 | 1 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | | | | | |

ممثلة مصرية حفيدة الممثل فريد شوقي والممثلة هدى سلطان. من أفلامها «بعد الموقعة»

5+6+4+3+2+1 = الطلاء ■ 7+8+10 = أسد ■ 9+11 = للنداء

حل الشبكة الماضية: جيروم فيراري

إعداد
نعوم مسعود

# البلاد

## 59 عاماً على «منظمة التحرير»: عن التغيّرات الثلاثة الكبرى

**وسام رفيدي**

مرّت في 28 أيار الفائت ذكرى تأسيس منظمة التحرير قبل 59 عاماً، من دون أن تترك أية تداعيات تؤشر إلى أهمية الذكرى، سوى مقال هنا وخبر هناك. لا أعتقد أن هناك مَنْ يستغرب من هذا، فسؤال «ماذا تبقى من المنظمة؟» مشروع تماماً، ولكن ما نعتقده مشروعاً أكثر هو سؤال: ماذا تغيّر في المنظمة أصلاً حتى ينطرح السؤال الأول أصلاً؟

**الإجابة عن سؤال «ماذا تبقى؟» يقود لفحص اشتراطات تحقيق المطلب الذي غدا ولسنوات «كليشيه» مكرور في الخطاب السياسي الفلسطيني بتلاوينه الفصائلية كافة**

عود على السؤال: ماذا تغيّر في المنظمة؟ بداية ينبغي التأكيد أن متغيرات كثيرة حدثت في المنطقة العربية والعالم لها تأثيرها على القضية الوطنية والنضال الفلسطيني بالتأكيد.

ومع ذلك، بقي ما هو ثابت: الاستعمار الصهيوني لفلسطين بما يعنيه ذلك ببساطة وبلا مواربة بقاء قضية الشعب الفلسطيني قضية تحرر وطني، شعب يسعى لتحقيق هدفه التاريخي بتحرير فلسطين وعودة اللاجئين، ذلك الهدف الذي يمكن اختصاره بشعار/ هدف التحرير والعودة، ولا يجوز تحت أي ظرف لأية تغييرات دولية وعربية وفلسطينية أن تشطب هذا الهدف باعتباره هو القضية ذاتها، فشطبه شطبها.

### أولاً: التغيّر في الخطاب الرسمي للمنظمة

التغيير الأبرز أن خطاب المنظمة، سواء الموجه لشعبنا أو للرأي العام العربي والعالمي، لم يعد خطاب حركة تحرر وطني يهدف إلى تحرير الوطن وعودة لاجئيه. ومن المعروف في كل حركات التحرر من الاستعمار الحديث، أن خطاب أية حركة يستند لحقيقة بسيطة، هي تمثل المربع الأول: وطن محتل يتطلب تحريره، وبالتالي فشعار/ هدف تحرير الوطن يغدو اللبنة الرئيسة في أي خطاب لحركة تحرر. أمّا في الحالة الفلسطينية، فمفردة/شعار/هدف تحرير فلسطين يغيب تماماً عن الخطاب الرسمي للمنظمة، لا بل وجرى مسح الجغرافيا الفلسطينية بحدود الضفة والقطاع، فيما تم الاعتراف بالمشروع الصهيوني ودولته على 78% من أرض فلسطين عبر اتفاقية أوسلو، فيما الـ 22% موضع تفاوض لم يتم منذ 30 عاماً. مقارنة بسيطة بين خطاب عرفات في السبعينيات في الأمم المتحدة عام 1974، والخطاب اليوم أمام الهيئات الدولية، يوضح الفارق الكبير بين خطاب حركة التحرر المعتز بقوته (المسدس في يد وغصن الزيتون في يد)، وخطاب الاستجداء والعجز والضعف (إحمونا).

### ثانياً: التغيّر في البرنامج

لقد تدحرج برنامج المنظمة منذ عام 1968 وحتى اليوم. ونقول عام 1968 لأنه العام الذي جرى فيه التأكيد على برنامج التحرر الوطني الذي تُبّت في الميثاق الوطني آنذاك، والداعي لتحرير فلسطين وإقامة دولة فلسطين الديموقراطية على كامل التراب الوطني. منذ عام 1974 بدأ التدحرج في البرنامج: سلطة وطنية على أية بقعة يجري تحريرها، وبرغم البراءة الظاهرة في صحة الشعار (ومَنْ الذي لا يريد سلطة وطنية على أرض تم تحريرها)، إلا أنه كان مدخلاً محسوباً لسلسلة من التراجعات اللاحقة لتسويق المنظمة لدى الأميركان، وهذا ما تنبهت له في حينه «الجبهة الشعبية» وفصائل أخرى، فاسبوا «جبهة الرفض»، ثم دولة فلسطينية مستقلة في حدود عام 1967، وهنا بدأ التحول بارزاً في النظر لجغرافية فلسطين، ثم دولتان لشعبين بما يتضمنه من اعتراف صريح بالمشروع الصهيوني وكيانه، ثم برنامج أوسلو للحكم الإداري الذاتي المحدود، وتشكيل السلطة بما هي بالضبط سلطة حكم إداري ذاتي مهما أطلقت على نفسها من صفات مغايرة. هذا التدحرج كان كارثياً على نضال شعبنا.

### ثالثاً: التغيّر في البنية والمكانة

رويداً رويداً، وبترتيبات تاخذ في الاعتبار موازين القوى بين مختلف النخب والفئات الطبقية وتوزعها الجغرافي ونفوذها داخل مؤسسة المنظمة، جرى تأسيس سلطة الحكم الإداري الذاتي، وكان من الطبيعي، ارتباطاً بما سقناه أعلاه عن البرنامج والخطاب، وبفعل موقع نخبة السلطة الجديدة وعلاقاتها مع النظام العربي الرسمي ودولة المستعمرين والأميركان، أن يتحول القرار فعلياً لسلطة «أوسلو» فيما تهمش المنظمة كهيكل ومؤسسات وبنى تهميشاً يكاد يلغي وجودها نهائياً وتماماً.

بناء المنظمة مضى عليه 59 عاماً من دون عملية ديموقراطية حقيقية. لا انتخابات لمجلس وطني، لا تجديد بطاقات مناضلة جديدة، قوى فاعلة خارج المبنى، ربما أكثر فاعلية ممن بداخله، قوى ممثلة بحكم التاريخ قبل عقود ولكنها في الحاضر لا تملك سوى قائد التنظيم وبضعة مرافقين، هياكل بيروقراطية متكلسة لا دور حقيقياً لها ولا وزن لها عند جماهير شعبنا. لا يستغربن أحد إذا عبّر أحدهم عن رأيه بالمنظمة بالقول: أي منظمة، إذ ينتفي حضورها تماماً وسط الجماهير.

وبعد، هل من مقومات لإعادة بناء منظمة التحرير؟ ربما يحتاج هذا العنوان إلى مقالة منفردة، لكن باختصار غير مخل يمكن القول إن هذا الموقف بالعادة يركز على العملية التنظيمية/ الإدارية لإعادة البناء عبر محورين: ضم القوى التي خارجها، وإجراء انتخابات للمجلس الوطني. رغم الأهمية القصوى والملحة لتحقيق هذين المحورين/ المطلبين إلا أنهما غير كافيين، والاقتصار عليهما يحوّل إعادة البناء لمحض عملية تنظيمية/ تقنية لا سياسية وطنية بالأساس. أولاً وقبل كل شيء ينبغي لعملية إعادة البناء أن تقوم على قاعدة التنصل الكامل من الاتفاقات الموقعة مع الصهاينة، ونعني اتفاقيات «أوسلو» وملحقاتها وتداعياتها والأهم الاعتراف بشرعية الكيان الاستعماري. وثانياً، إعادة الاعتبار للميثاق الوطني الفلسطيني الذي جرى قبره، وتأكيد شعار/ هدف التحرير والعودة وجغرافية فلسطين التاريخية، التأكيد على خيار المقاومة بأشكالها كافة. بتحقيق هذه الأرضية السياسية مع الإجراءات التنظيمية بمحوريها، يمكن التعويل على إعادة البناء، والتي ستعني أيضاً إحداث تغيير جوهري في قيادة المنظمة.

المؤتمر الوطني الاول في القدس 1964 الذي اعلن فيه تاسيس منظمة التحرير الفلسطينية

## هل فلسطينيو الخارج... في الخارج؟

**مصعب بشير**

يقدّر تعداد الشعب الفلسطيني في يومنا هذا بأكثر من 14 مليون نسمة، يعيش أكثر من نصفهم في الشتات. ولئن كانت هجرة الفلسطينيين إلى خارج البلاد تجري على ما جرت عليه حاجات البشر وطبائعهم منذ الأزل، فإنها قد بدأت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما أخذ مسيحيو فلسطين يتقاطرون نحو أميركا اللاتينية سعياً وراء الرزق وهرباً من رقبة الاستعباد والتمييز العثماني. لكن نكبة 1948 كانت ولا تزال الحدث الفارق في حياة الشعب الفلسطيني، فقد أُجبر أكثر من ثلاثة أرباع الشعب على اللجوء إلى خارج فلسطين، وتراكبت على ذلك هجرات من مخيمات اللجوء في البلدان العربية ومن داخل فلسطين إلى أوروبا والأميركيتين بشكل رئيسي.

ورغم أن الفلسطينيين في داخل الأراضي المحتلة عام 1948 ومخيمات اللجوء في الدول العربية والأميركيتين وأوروبا يشكلون غالبية الشعب المنكوب، إلا أن الطبقة الحاكمة استثنتهم تماماً من حساباتها السياسية التي تعكس مصلحةً ضيقةً جعلت من حركة التحرر الفلسطينية كياناً وظيفياً يدور في فلك النظام الصهيوني الإسرائيلي.

برزت محاولاتٌ تتمثل في تشكيل هيئاتٍ ومؤتمراتٍ لجمع شمل الفلسطينيين في الخارج، بغرض فرض أمر واقع يزيح الطبقة المُتَغَوِّلَة على القرار الوطني الفلسطيني. وللمفارقة أفرغت تلك الطبقة النظام السياسي الفلسطيني من محتواه باسم ذلك القرار- مركزها القارة الأوروبية وتتفرع في الأميركيتين، فضلاً عن عشرات الجمعيات ولجان الجاليات المتناثرة في بلدان العالم وأقاليم تلك البلدان. لكن ذلك كله لم يحقق شيئاً على صعيد إعادة بناء النظام السياسي الفلسطيني على أساس ديموقراطي، أمّا ما تحقق من إنجازات تتعلق بمعاقبة إسرائيل في بلدان تلك الجاليات، فليست لتلك الهيئات والمؤتمرات والجمعيات واللجان فيها باع طويلة.

### حرائة الجمال

لا عجب في أن الهيئات التي نبتت من الجاليات الفلسطينية المغتربة لم تستطع، ولن تستطيع في المدى المنظور على الأقل، أن تكون ذات تأثير في العملية السياسية الفلسطينية، فهي، وعلى الرغم من صدق النوايا واختيار الأهداف الضرورية، غير قادرةٍ على انتهاج أساليب عملٍ مناسبة، إذ إنها عقيمةٌ تنظيمياً، وهي كما يقول المثل الفلسطيني: «تحرث كالجمال»؛ وذلك تشبيهٌ تمثيلي بكيفية مشي الجمل على الخط المحروث، حيث إن خُفّ الجمل عريض، لذا فهو يسوي الخط الذي سبق وحرثه بمجرد أن يعود عليه، فتكون النتيجة صفراً. يتجلى ذلك في إعادة إنتاج المغتربين الفلسطينيين لنفس الهياكل التنظيمية البالية للفصائل الفلسطينية المهترئة؛ فهذه لجنةٌ قياديةٌ، تشرفُ على لجنةٍ للمرأة، ولجنة للشباب، ولجنةٍ اجتماعية... إلخ.

هي من حيثُ الشكل مسمياتٌ فضفاضةٌ تعكس عدم وضوح في الرؤية، وفي الأهداف الآنية والتكتيكية، وهي من حيث المحتوى تجلٍ لكارثة حقيقية وعقلية أبوية ذكورية أكل عليها الدهر وشرب ومسحَ لحيته. فإذا نظرنا إلى ما تفعله لجان المرأة فلن نجد أكثر من لقاءات عصفٍ فكري تحضرها نفس السيدات ولا يخرجُ عنها برنامجٌ ملموس. الأمر نفسه عند الشباب الذين يطالبون باحتدادٍ بأن تكون لهم لجنتهم، وكأننا في حفلٍ كبير يريد فيه الفتية رقص الدبكة وحدهم بعيداً من أحاديث الكبار المملة. يقول الشباب إن «الكبار» لا يفهمونهم، لكن ذهنية الشباب في حقيقة الأمر لا تختلف عن ذهنية الكبار جوهرياً.

أمّا اجتماعات الكبار في الهيئات القيادية ومؤتمراتها فتشبه إلى حدٍ ما برنامج «من كل قطرٍ أغنية»؛ متحدثٌ رئيسي يستفيض حتى ينام نصف الحضور، ثم يُفسح المجال للمداخلات التي لا يمكن تحديد ماهياتها إن كانت أسئلة أو مرافعات أو تعليقات، ثم ترفع الجلسة وتصاغ البيانات بخطابية عنترية وعمومية.

### فاقد الشيء لا يعطيه

ثمة جاليات فلسطينية في أوروبا والأميركيتين، بمعنى أفراد فلسطينيين أو من أصل فلسطيني، وليس كتجمعات منظمة لها وحدة تمثيلية ديموقراطية؛ إنه خليط مبعثر من البشر بعضه له جمعيات أو كيانات تشبه ما لبعض النَّحل من منتديات وأماكن للقاء. ويستحيلُ صعباً تحويل تلك الفضاءات إلى هيئات مسيسة فاعلة لأن العنصر البشري فيها لا يزال متأثراً تماماً بما في المجتمع الفلسطيني من تفكير خرافي وذكورية وفقر معرفي، ونجدنا تلقائياً أمام إعادة إنتاج للواقع الفلسطيني المزري وكأنها ترجمة حرفية ركيكة.

ولو نظرنا بسرعة إلى الجاليات المؤثرة لوجدنا أن لها مدارس وجمعيات ثقافية ونوادي رياضية اجتماعية، وهو ما لا تتمتع به الجاليات الفلسطينية. وحتى أقدم الجاليات الفلسطينية الضخمة كتلك الموجودة في تشيلي والأرجنتين وكولومبيا والولايات المتحدة وفنزويلا، نجد أن مدارسها تعد على الأصابع، وأنها لا تدرس اللغة العربية وليس أكيداً أنها تدرس تاريخ فلسطين والقضية الفلسطينية، ويدلل على ذلك أن أغلب السياسيين من أصل فلسطيني -وهم قلة قليلة- في أميركا اللاتينية يعملون داخل أحزاب تؤيد دولة إسرائيل.

لكن النقطة المضيئة تكمن في قلةٍ من بين الشابات والشباب الذين توافدوا من أواسط التسعينيات إلى أوروبا والولايات المتحدة طلباً للعلم، وحملوا معهم سرديةَ شعبهم وصقلوا خطابهم بما تعلموه فأصبحوا مؤثرين، لا سيما وأنهم لم يبدوا سوراً شفافاً بينهم وبين المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها، ولم يذوبوا فيه بشكل سلبي، وعلاوةً على ذلك لا نجدهم منغمسين في تلك التجمعات الفلسطينية التي تنهشها نفس التناقضات القديمة. وهكذا أصبحت الجامعات والنقابات ساحة معارك تتكبد فيها السردية الصهيونية الهزيمة تلو الأخرى. أمّا أوساط المال فشأنها شأن آخر.

معركة الإنسان الفلسطيني الواقع تحت اضطهاد مركب (صهيوني- فصائلي «فلسطيني») معركة وعي بذاته أولاً، وهي واحدةٌ في الوطن والشتات ولا تنفصل عن معارك كادحي العالم ومضطهديهم. ومما يعزي النفس أن السردية الفلسطينية لا تزال حية وتقتّ مضاجع الصهاينة والحال الفلسطيني ما نعلمه، فما بالك لو أنه تحسن!

(أ ف ب)

## «عقل» فلسطين

**مطر عدوان**

لا يمر عام بلا مؤتمر فلسطيني أو مؤتمر عن فلسطين. تنظّم هذه المؤتمرات عادةً قوى فلسطينية، أو مؤسسات تتبع للقوى الفلسطينية وإن اذعت غير ذلك.

لا بأس بعقد هذه اللقاءات، وحشد الفلسطينيين والعرب في مكان واحد لأيام، مدفوعة التكاليف من جميع الجوانب، لكن بشرط أن تكون هناك نتيجة معقولة تصدر كمخرجات، تفيد الجمع الأكبر، في المجالات التي تعنون تحتها هذه اللقاءات (المؤتمرات).

إن سبب هذه المقدمة، وما يبدو أنه نقد، هو ملاحظتي أن بيروت استضافت خلال الأسبوعين الماضيين أكثر من لقاء، بعضها احتشد فيه أكثر من 150 شخصاً تمت دعوتهم من أنحاء العالم. لم يكن لهذا اللقاء برنامج معمم، والحضور، كانوا من أطياف مختلفة، تجمعهم فلسطين نعم، لكن لا تجمعهم الاختصاصات والاهتمامات من أجل فلسطين.

نعم، بعض المؤتمرات تقدّم «رؤيا» للعمل الوطني، تدعو فيها إلى الوحدة، وغيرها من المعطيات الفلسطينية الضرورية والإشكالية اليوم، ضمن الحال الأسوأ في تاريخ القضية الفلسطينية والصراع مع الكيان، لكن ها هنا، يجب أن تطرح أسئلة جادة، من وضع هذه «الرؤيا»؟ ولمن قدّمت؟ وهل من قدّمت لهم، قادرون على الدخول بحملة تغيير في مواقعهم؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة تتطلب وقفة، وتفكير.

فبخصوص السؤال الأول، إن عقد مؤتمر مسؤولة عنه حركة «فتح»، فإن ما سيقدم به معدّ من قبل «فتح» وبالتالي لم يتم التشاور مع «الإخوة الأخصام» في حركة «حماس»، وفي النتيجة، ستنتهي هذه المبادرة، مع انتهاء المؤتمر أو اللقاء أو الفعالية (التسمية ليست مهمة). لأن أحداً لن يتابع العمل فيها، لكن ستتم العودة إلى «الرؤيا» عند الحاجة، والحاجة ها هنا، هي المماحجة للخصم السياسي. ذكرت «فتح» لئلا يفهم أن النقد المذكور، يمسّ «حماس» وحدها، لأن ما ينطبق على الحركة الأولى ينطبق على الثانية تماماً، في هذا المقام على الأقل. أمّا بخصوص السؤال الثاني، فإن الـ«رؤيا» التي تقدّم، تكون معدّة سلفاً، وتقدّم للحضور، ليس للمصادقة عليها تماماً، بل للنقاش، وربما قبول بعض التعديلات الطفيفة، لكن الذين سيناقشونها منسجمون أصلاً مع واضعيها، وبالتالي، نعود إلى مشكلة السؤال الأول، مع من ناقش واضع الـ«رؤيا» رؤيته؟ مع نفسه، مع أشباهه. وبالتالي لم نتحرك قيد أنملة. والسؤال الثالث، سيبقى معلّقاً، لأن الإجابة عنه مرتبطة حكماً بالقوتين اللتين تسمحان أو تمنعان في الضفة الغربية وقطاع غزة. وها نحن مكاننا، بعد عشرات المؤتمرات واللقاءات والاجتماعات والجلسات.

هل هنا اكتفاء بالنقد؟ ما سبق مقدمة لمبادرة ادعو فيها كل القوى الفلسطينية والعربية، وكل الفاعلين في الشأن العام، وكل الأكاديميين والمثقفين، إلى التفكير بها. تذكر بعض المراجع، أنه عقد في لندن «مؤتمر لندن الاستعماري» المعروف بمؤتمر «كامبل بنرمان» سراً في الفترة 1905-1907 بدعوة من حزب المحافظين البريطاني. ويروى أن هذا المؤتمر حدث بمشاركة علماء التاريخ والاجتماع والجغرافيا والزراعة والبترول والاقتصاد. وأنهم جميعاً أوصوا بـ«إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل - في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس - قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها؛ هو التنفيذ العملي العاجل للوسائل والسبل المقترحة». لم يحصل هذا المؤتمر، وليس له وجود، والدكتور محسن صالح مدير مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، وقبله الراحل الدكتور أنيس صايغ مدير مركز الأبحاث الفلسطيني الأسبق، ومسؤول الموسوعة الفلسطينية، بحثا عن هذه الوثيقة بحثاً حثيثاً وذهبا في فترات مختلفة إلى بريطانيا وبحثا في أرشيفها ولم يجدا أي شيء يدلّ على وجود مثل هذا المؤتمر، أو أي وثيقة تخصه.

ومثل هذا المؤتمر، هناك «ملتقى هرتسليا للأمن القومي الإسرائيلي» الذي يعقد سنوياً في الكيان، بحضور أكاديمي وسياسي وإعلامي وعسكري، يتم خلاله «طرح الجانب القومي والعسكري وميزان مناعة إسرائيل. ويشمل التطرق إلى شؤون الإدارة وأعضاء الكنيست وكبار رجال الدولة، ثم يتطرق الملتقى إلى الشأن الأمني من جيش وقضايا الاستخبارات وقوى الأمن المختلفة. وقضايا الاقتصاد والأكاديمية والعالم اليهودي والمواطنين الأجانب» (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار») واللافت في هذا الملتقى أنه يتولى «طرح وبحث قضايا مصيرية ومستقبلية في أجندة السياسة الإسرائيلية. وتبدو في الآونة الأخيرة أهمية هذا الملتقى في توجيه الدفة السياسية العملية في إسرائيل. لهذا، فإن عدداً من المراقبين السياسيين يتطلعون إلى توصيات الملتقى بفارغ الصبر لما تثيره من ضجة حولها» (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار»).

ما علينا، إن فكرة المؤتمرين هي المهمة، هي ما نحتاج إليه فلسطينياً وعربياً، على اعتبار أن إسرائيل هي مشكلة العرب كلهم، وليست مشكلة الفلسطينيين وحدهم. فنحن بحاجة ماسة إلى مؤتمر سنوي، يحضره أهل الاختصاص فقط، يتناقشون ويتحاورون، ويقدمون رؤيا واستراتيجية للعمل، من أجل مستقبل فلسطين والفلسطينيين، ومن أجل مستقبل العرب في داخلهم وفي صراعهم مع إسرائيل. ولا أقول أو أدّعي أن مثل هذا المؤتمر سيحرر أرضاً أو يحرر أسيراً، أو ينهي أزمة من أزمات العالم العربي الكثيرة في السنوات الأخيرة. لكنه على الأقل سيقدم فهماً عميقاً للواقع، سيقرأه ويحلّله ويقدم أفكاره وطروحاته ومشاريعه، سيضع المسؤولين أمام استحقاقات حقيقية، بدل هذه التي يتشدقون بها، ولا يفعلون من أجلها أي شيء. سيقدم مثل هذا المؤتمر أفكاراً استراتيجية للعمل السياسي، والنضال الوطني والقومي، سيضع النقاط على حروفها الصحيحة، والقطار على سكته، وسيبنيه مثل هذا المؤتمر، صراحة، إلى المخاطر الجدية المحدقة بمستقبل العالم العربي إذا ما استمروا بالتطبيع والرضوخ لإسرائيل، وإلى مستقبل فلسطين وشعبها، إذا لم تتخذ «فتح» و«حماس» خطوة جدية من أجل فلسطين - على ضالة الموضوع أمام مشكلة فلسطين الكبرى - وإلا فإن الضياع قادم بفعل الاحتلال أولاً، وبفعل أولي الأمر من الفلسطينيين، وعلى رأسهم قادة فلسطين، والعرب المطبعون والمتواطئون مع إسرائيل ومن والاها.

إنّ هذه الدعوة - المبادرة، هي بقصر القول، فلسطين تحتاج إلى «عقل» يفكر ويتدبر بها، وهذا العقل ليس سياسياً فقط. وإن لم يحدث مثل هذا المؤتمر، سنبقى أمام مؤتمرات تصرف فيها الأموال، ولا يخرج عنها إلا الكلام المعاد.

# البلاد

# نحو تحرّر النضالين الأسود والفلسطيني

لنا زهرات نصر، ناديا طنوس *

تتجاوز الروابط بين التحرّرين الفلسطيني والأسود حقبة من التغريدات المتضامنة من الجهتين، أو حتى عبوات الغاز المسيل للدموع إسرائيلية المنشأ التي تستخدم ضد كل من النضالين. بل إنها تكمن في مركزية نضال الأسرى في حركاتنا، والمراقبة الشديدة لمجتمعاتنا، والطريقة التي تستخدم فيها مجتمعاتنا كأرضية اختبار للقوى الإمبريالية. وفي الوقت نفسه، كيف عملنا معاً في مواجهة الإمبريالية، وتبادلنا التكتيكات، واستلهمنا دروساً سياسية من بعضنا البعض. ولذلك، تجمع نضالات تحرر السود والفلسطينيين أواصر مادية وسياسية، وفي كثير من الحالات، اختارت شعوبنا ولا تزال تختار، التضامن.

فمن خلال الصدى العميق لنضالاتنا وتاريخنا العميق في الأممية، أنتج النضال الأسود والفلسطيني تاريخاً طويلاً ومثمراً من العلاقات والعمل المشترك، من قلب الإمبراطورية في أميركا الشمالية إلى البحر الكاريبي، وصولاً للقارة الأفريقية. جماعات وفردي، من مالكوم إكس وكوامي توري ولجنة التنسيق الطلابية اللاعنفية، وحزب الفهود السود للدفاع عن النفس، وسود لأجل فلسطين، وأنجيلا ديفيس، هيوي نيوتن، ونضالات التحرر في موزمبيق وانغولا وجنوب أفريقيا وزمبابوي وساحل العاج، جميعهم يشكلون شواهد على هذا التاريخ الثري وكذلك صلته بحاضرنا اليوم.

أخذنا في «حركة الشباب الفلسطيني» على عاتقنا التعلم والمساهمة في هذا الإرث الكبير، وذلك عبر تعزيز استمرارية الصلات ذاتها مع الشعوب المظلومة والمستعمرة، ونحو بناء نظرة مشتركة للتحرر. حيث لعبنا دوراً فاعلاً في الحملات المناهضة للعنصرية، كـStop Urban Shield وStop LAPD Spying، موضحين العلاقة بين الحركة الصهيونية والمتطرفات المحلية للإمبريالية الأميركية. ومما نتيح لنا هكذا مساهمات، كفلسطينيين، ليس فقط فرصة أخذ الدروس السياسية من رفاقنا السود (كنضال الجنوب أفريقيين ضد الأبرتايد)، بل إن المسألة الأهم تكمن في كشف تقاطعات نضالاتنا، كبرامج التدريب المشتركة بين قوات الاحتلال الإسرائيلي والشرطة الأميركية، وحملة Deadly Exchange التي أطلقتها مجموعة «الصوت اليهودي من أجل السلام» ضد برنامج التبادل العسكري الإسرائيلي-الأميركي.

### دروس سياسية من أفريقيا

يتم بشكل متزايد استخدام مصطلح الأبرتايد لوصف الوضع الفلسطيني، وقد كان من نتائج توجه وفد فلسطيني كبير للمؤتمر العالمي المناهض للعنصرية في دربوان في جنوب أفريقيا عام 2001، الذي بدوره دفع بمسار نداء BDS Civil Society عام 2005. وعطفاً على الانتشار العالمي للمصطلح، فهو يشكل إطاراً يسهل فهمه، ويستخدم كمنطلق رئيسي للعديد من النقديين والحركات الدولية حين مقاربة الوضع الفلسطيني، وهو ما أثار استياء إسرائيل وحلفائها الصهاينة. تبنت كل من «بتسيلم»، و«هيومن رايتس ووتش»، و«منظمة العفو الدولية»، وعيادة حقوق الإنسان الدولية بكلية الحقوق بجامعة هارفرد، والمقرر الخاص في الأمم المتحدة في فلسطين، هذا التعريف القانوني للمصطلح على الكيان الصهيوني، وصنفوا بدقة الأشكال العديدة والمتنوعة للتمييز ضد الفلسطينيين داخل فلسطين. وفي عام 2017، أجبر غضب الصهيونية على هذا المصطلح سحب تقرير الأمم المتحدة عن الفصل العنصري الإسرائيلي واستقالة رئيسة لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا).

إلا أنه وعلى الرغم من الغضب الصهيوني، وبينما قد يصف مصطلح الفصل العنصري بعض الأشكال السطحية لمستوى التمييز العنصري، وكذلك الوصف القانوني لمجموعتين مختلفتين من القوانين (أوسلو) لم تعد الأرض للفلسطينيين أو تجلب اعترافاً دولياً بالسيادة على الأرض، أو تعيد اللاجئين إلى أرضهم، أو حتى شكلت حكومة تمثيلية ذات صلاحيات. فلم يقدنا هذا الخيار لأي تحسن جوهري، بل أوجدت طبقة متعاونة من النخب والتي تعمل على قمع أي نضال تحرري حقيقي.

لقد علمتنا تجربة جنوب أفريقيا أنه لا معنى لمسألة حقوق الإنسان والحقوق المدنية بلا سيادة معترف بها على الأرض، وهو الأمر ذاته الذي يتم استثناؤه في التعريف القانوني للأبرتايد، فهو لا يضع مسألة الاستعمار الاستيطاني الأوروبي وحق الأوروبيين بالأرض الأفريقية تحت المساءلة أو حتى التشكيك. وكذلك، وفي الحالة الفلسطينية، فهو لا يجرم أو يشكك في المشروع الصهيوني في بناء دولته «إسرائيل». بل على العكس، يضفي الإطار القانوني لسردية الفصل العنصري شرعية ضمنية للصهيونية والكيان الصهيوني ككحم ومانح للحقوق السياسية والمدنية. ويضاف إلى ذلك، أنه يخلق مساواة مجحفة وزائفة بين التحرر وتقرير المصير والخطاب الضحل عن الحصول على المساواة في الحقوق والمكانة القانونية مع مضطهدينا، دونما معالجة لأي من الشروط المادية للاستعمار الاستيطاني وعقود من النهب والاستغلال والهيمنة.

تعتبر المعالجة السطحية للفصل العنصري، والتفريط ببناء برنامج شامل للتحرير، مجرد استبداء ليبرالي فاضح على مشروع ثوري، فنحن لا نناضل من أجل حقوق متساوية مع مستعمرينا ضمن بنية قانونية للمستوطنين. بل نحن نناضل من أجل تحرير كامل فلسطين، أرضها وشعبها، والاعتراف بالسيادة الفلسطينية عليها من البحر إلى النهر. ونحن نعلم أنه إينما وجدنا أنفسنا في المنفى كفلسطينيين، فنحن في الخطوط الأمامية للنضال ضد الصهيونية. وعندما نرى أنفسنا في مرحلة ما تم ترسيخها في ظل نظام الفصل العنصري الرسمي. ومن هنا لا يمكننا إجراء مقارنة ومعرفة أوجه التشابه بين التاريخين، والتطلع لتحرير فلسطين، إن نظرنا لفلسطين كمجرّد مسألة أبرتايد.

بالإضافة إلى ذلك، فإن جميع محاولات الحركات الفلسطينية للتوصل إلى تسوية تفاوضية (أوسلو) لم تعد الأرض للفلسطينيين أو تجلب اعترافاً دولياً بالسيادة على الأرض، أو تعيد اللاجئين إلى أرضهم، أو حتى شكلت حكومة تمثيلية ذات صلاحيات. فلم يقدنا هذا الخيار لأي تحسن جوهري، بل أوجدت طبقة متعاونة من النخب والتي تعمل على قمع أي نضال تحرري حقيقي.

هناك أنواع ظروف مختلفة يعيشها السود في ما يسمى اليوم بالولايات المتحدة، ولكن بغض النظر عن تنوعها، يتخللها نظام شرطي عنصري، والاستغلال الاقتصادي، والجماعات الأهلية البيضاء المدعومة من الدولة، والإعدام خارج نطاق القانون، والآة السجن المسعورة من أجل جني الأرباح، جميعها تتقاطع مع واقع العيش في دولة استعمارية استيطانية تبنى ثروتها إلى حد كبير من العمل المسروق للسود المستعبدين، ويتخللها الواقع الحالي للأحياء والمجتمعات السوداء المعزولة.

إن مصفوفة الاضطهاد هذه متعددة الأجيال ومتجذرة بعمق داخل المؤسسة السياسية والاقتصادية الأميركية، فهي مبنية على أساس الدولة نفسها. كما قال جيمس بالدوين عام 1980: «ما نتفاعل معه حقاً هو أنه بالنسبة للسود في هذا البلد، لا توجد منظومة قانونية على الإطلاق، ما زلنا محكومين إذا بقانون العبيد». العبودية هي أداة حاضرة دائماً في الولايات المتحدة، وتستمر سارية المفعول، إن لم يكن بالاسم بعد النهاية الرسمية للعبودية القانونية، ولا يزال إرثها قائماً من خلال استغلال السود في نظام السجون الحديث.

لا يمكن فصل الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعانيها السود في أميركا عن لون بشرتهم وفقرهم بسبب التمييز العنصري في تقسيم الثروة، حيث تتوارث الأجيال العنف المرعي من الدولة وقتل الشرطة لهم. وعلية، كانت هذه العوامل الرئيسية التي أنتجت حركة القوة السوداء، بما في ذلك حزب الفهود السوداء للدفاع عن النفس، والتماس توجيه تهمة الإبادة الجماعية للإغاثة من جريمة حكومة الولايات المتحدة ضد الزنوج (1951) والذي قدم للأمم المتحدة.

إن هذا الإرث مهم لفهم الحركة الشعبية الحالية الناشئة في أتلانتا، حيث ما زال مستمراً من خلال اعتقال ورفض الإفراج بكفالة لأكثر من 42 شخصاً بالقرب من مجمع تدريب للشرطة تبلغ تكلفة إنشائه 90 مليون دولار، وبتمويل من الشركات، والذي أطلق عليه المجتمع اسم «مدينة الشرطة»، والمستمر من خلال تكتيكات القمع والحرب القانونية التي تشكل سابقة في القانون المدني في الولايات المتحدة، وذلك عبر النهم الموجهة لجميع المعتقلين، واتخاذ قانون جرائم الإرهاب المحلي ذريعة لملاحقة الناشطين. وهو ما يشمل اثنين من المتظاهرين اللذين يواجهان عقوبة السجن لمدة 20 عاماً لنشرهما منشورات تشير إلى الشرطي الذي يزعمون أنه مرتبط بقتل المدافع عن الغابات مانويل تيران.

تم الإعلان عن مدينة الشرطة أو Cop City في عام 2017، على اثر الاتجاه التصاعدي لعسكرة قوات الشرطة في الولايات المتحدة بل في جميع أنحاء العالم. تستهدف مؤسسة شرطة أتلانتا 85 فداناً من أصل 100 فدان من غابة Weelaunee أو غابة أتلانتا. وذلك من أجل بناء مجمع تدريب للشرطة المحلية وإدارات مكافحة الحرائق، وإنفاذ القانون الوطني، والجيوش الدولية لتبادل التكتيكات والتقنيات. فأتلانتا هي بالفعل موطن لبرنامج جورجيا الدولي لتبادل إنفاذ القانون (GILEE)، الموجود في حرم جامعة ولاية جورجيا. وهو مركز لبرنامج التبادل مع دوريات الحدود والجيش الإسرائيلي.

أصبحت مدينة دورهام بولاية نورث كارولينا، على بعد عدة ولايات من ولاية جورجيا، أول مدينة أميركية تحظر تدريب شرطتها مع الجيش الإسرائيلي منذ عام 2018، وذلك بعد قرار مجلس المدينة بقيادة ائتلاف من المنظمين تحت مظلة «نحو نزع التسلح من دورهام إلى فلسطين». حيث لاحظوا أن أوجه التشابه بين المعاملة الإسرائيلية والوحشية والإرهاب ضد الفلسطينيين ومعاملة شرطة دورهام للسود والأقليات الأخرى، سوف تطور لتأخذ شكلاً ملموساً ومادياً إذا ما استمر مشروع تبادل المهارات والتكتيكات والتكنولوجيات بين القوات الصهيونية الإبادية الاستيطانية من جهة، وقوة الشرطة الأميركية التي نشأت في حملات إبادة السكان الأصليين ودوريات العبيد من جهة أخرى. ونحن نعلم بالفعل ما ستكون نتيجة هذا التواطؤ، فكما رأينا في جميع أنحاء أميركا الشمالية، إن المزيد من العمل الشرطي يعني المزيد من المراقبة والموت والسجن وهذا لا يعني الأمان.

أما في حالة أوقفوا Cop City، يمكننا استشراف أن برامج التدريب المقدمة ستندرج في سياق نمط عمل الشرطة الأميركية، انطلاقاً مما يسمى «الشرطة التنبؤية»، ووحدات مكافحة الإرهاب الموجودة في GILEE وبرامج التبادل الشرطي/العسكري الأخرى، مثل برنامج Urban Shield السابق، والذي تفاخر أيضاً بالتبادلات بين الجيش الإسرائيلي وحشد من إدارات الشرطة؛ ومراكز تبادل المراقبة بين سلطات إنفاذ القانون الفيدرالية والمحلية المعروفة باسم «مراكز الاندماج» الموجودة في العديد من المدن في الولايات المتحدة. غرض مراكز الاندماج هذه التعاون في المراقبة بين الشرطة وإدارة الهجرة والأمن الوطني من بين وكالات أخرى. على هذا النحو، فهم يمثلون حلقة الوصل بين النضالات المتعددة -فلسطينيون وعرب ومسلمون وسود ولاتينيون وسكان أصليون ومهاجرون- حيث يتم توسيع إطار الحرب على الإرهاب واستخدامه كذريعة لزيادة ترسيخ المراقبة واسعة النطاق للآخرين الذين يعانون من العنصرية.

لقد استغلت ولاية جورجيا هذه اللحظة كفرصة لعرض نظامها الداخلي الجديد المتعلق بالإرهاب، فعلى مدى العقود الماضية تم استخدام تهم الإرهاب ضد النشطاء في النضال الفلسطيني وكان لذلك أثر مدمر على مجتمعنا في المنفى. والتلفيق الأكثر شهرة هو أن خمسة أعضاء من مؤسسة الأرض المقدسة، وهي مؤسسة خيرية إسلامية تقدم المساعدة للفلسطينيين في جميع أنحاء جنوب غربي آسيا / شمال أفريقيا، أدينوا بدعم مادي للإرهاب بناءً على شهادة سرية من عميل إسرائيلي. كما تم استخدام مثل هذه الاتهامات ضد فلسطينيين آخرين مثل سامي العريان الذي تم ترحيله إلى تركيا في عام 2015.

يواجه في أتلانتا اليوم اكثر من 42 شخصاً تهماً محلية بالإرهاب تصل عقوبتها إلى 35 عاماً في السجن، بما يمثل تصعيداً شرساً في قمع حركات تحرير الشعوب في أميركا الشمالية. رغم ذلك فكلما كان القمع أقوى، كانت المقاومة أقوى، حيث تداعت العديد من برامج تبادل القوات الأمنية بين الشرطة الأميركية وقوات الاحتلال الإسرائيلي أمام جبهة مجتمعية موحدة، ونأمل في أن تواجه Cop City المصير نفسه. تصاعدت الاحتجاجات ضد بناء المجمع الشرطي الضخم، والتي بدأت مع مدافعين عن الأراضي ممن يسكنون الغابة في تشرين الثاني 2021، ولتنمو لتصبح حركة كاملة بحلول بداية خريف 2022، ولتتصاعد لتغطية إخبارية على نطاق أميركا كلها مع مقتل المدافع عن الغابات تورتوجوينا تيران في كانون الثاني، الأمر الذي ولد نداءات للمؤيدين في جميع أنحاء القارة للحضور إلى الغابة.

### دعم التحرر الأسود في جزيرة السلاحف

أمسى الاتهام بالإرهاب العصا التي تسلطها الإمبريالية، وكما يتضح من Stop Cop City، فهي تطبق على حد سواء على حركات التحرير الفلسطينية والسوداء. وعلى الرغم من أن هذا التصنيف قد تم تحديده أخيراً من خلال «الحرب العالمية على الإرهاب»، إلا أنه يتمتع بتاريخ أعمق، وهو تاريخ يؤثر على تحركاتنا الجماهيرية في ما يسمى بالولايات المتحدة اليوم.

في نيسان من عام 1968، حدد مكتب التحقيقات الفيدرالي بعض أهدافه الرئيسية، والتي شملت منع تشكيل تحالف للجماعات القومية السوداء، وكذلك منع نمو المنظمات القومية السوداء، بخاصة بين الشباب. تقف هذه الأهداف شاهدة على أهمية التنظيم الثوري للسود في الولايات المتحدة، والتي اعتبرها الـFBI خطيرة على أجندته الإمبريالية، لدرجة أنها استحوذت على أغلب برامج المراقبة في الحقبة تلك. فكما هي الحال مع غسان كنفاني وغيره من الثوار البعيدين من قلب الإمبراطورية، قتل الأميركيون المناضلين السود في هذه الفترة وسجنوهم، ليس فقط بسبب ما قاموا به، بل لواد ما يمكن لهم أن يقوموا به. تحركت الدولة الأميركية، لتمزيق حراك قوي من أجل التغيير من داخل قلب الإمبراطورية. وهو أمر يمتد إلى اليوم، حيث يواصلون حبس السود في أحد أعلى المعدلات في البلاد، وبل في العالم أجمع، مع زيادة المراقبة والعمل الشرطي على نطاق واسع، وتشريعات قانونية جديدة مثل «تطرف الهوية السوداء».

نؤمن بأن العدالة لا تتجزأ، ولذلك ندعم نضال تحرير السود مادياً بالتصميم الشرس نفسه الذي نفعله لدعم نضالنا نحن كفلسطينيين. وبينما ندرك أوجه التشابه العميق بين حركاتنا، يجب علينا أيضاً أن نبذل قصارى جهدنا من أجل تحقيق الحرية. ويجب أن ندرك أن النضال الأسود يتعارض بشكل أساسي مع الإمبريالية، فقد كان اختطاف الأفارقة وحملهم في ظروف قاسية إلى نصف الكرة الغربي هدفاً إمبريالياً بالأمس، ومما يخدم الإمبريالية اليوم، هو أن تعيش المجتمعات السوداء حالة من التخلف، وأن يتم استغلال قوتهم العاملة بشكل روتيني وبطرق متعددة، من هنا يتوجب علينا محاربة الإمبريالية أينما وجدت، ومن الواضح أن الولايات المتحدة في حالة حرب محلياً كما هي دولياً.

أخيراً، يجب أن تتجسد الأممية في الأفعال لا مجرد الشعارات. وإذا ما أردنا أن نبقى صادقين مع المبادئ الأممية، والتي تعد جوهر شخصية وتاريخ حركة التحرير الفلسطينية، يجب أن نفهم أن تحريرنا متشابك بشكل كامل مع تحرير أفريقيا وشتاتها. ويجب أن نخلق جبهة موحدة ضد مضطهدينا المشتركين، ويجب أن ندعم رفاقنا السود، ونضع استراتيجية معهم وهم يكافحون ظلم الدولة وإنفاذ القانون والنظام الاقتصادي المصمم لاستغلالهم. يجب أن نكون في الشوارع جنباً إلى جنب مع رفاقنا السود الذين يقاتلون من أجل تقرير المصير الكامل للمجتمعات السوداء، وحربة السجناء السياسيين السود مثل موميا أبو جمال، والعمل لإنهاء العمل الشرطي الجائر والسجون والعسكرة والقهر الاقتصادي.

**ترجمة: موسى السادة**

* ناشطتان في «حركة الشباب الفلسطيني» (PYM)

مارك رودين (جهاد منصور) - 1988

**إن مصفوفة الاضطهاد هذه متعددة الأجيال ومتجذرة بعمق داخل المؤسسة السياسية والاقتصادية الأميركية، فهي مبنية على أساس الدولة نفسها**



# الأيّام الخمسة

بلال الطبعوني

في جلسة طويلة ماتعة غنية مع المفكر الوطني الفلسطيني منير شفيق، سنحت الفرصة والفسحة بإحاطة شاملة بكثير من التفاصيل الفلسطينية، منذ بدايات النضال، حتى يومنا هذا. تحولات كثيرة في المشهد، يؤكد شفيق أنها قلبت الموازين على رأس الاحتلال، وفي مقدمتها حالة المواجهة المفتوحة عسكرياً في الضفة الغربية، وتوازن الردع الذي فرضته المقاومة في قطاع غزة، إلى جانب المخاطر التي باتت تتهدد إسرائيل من خارج جغرافيا فلسطين التاريخية، الأمر الذي يؤشر إلى قرب اكتمال العوامل والمحددات، التي من شأنها حسم النزاع لمصلحة الجانب الفلسطيني، ولا سيما أن صورة الجيش الذي لا يهزم، تداعت إلى غير رجعة.

يتشدد شفيق، في رفض كل أشكال العلاقة والتواصل والتنسيق مع الكيان، على اعتبار أن الاعتراف بالاحتلال، رسمياً كان أم ضمنياً، يُكسبه شرعية نحن الفلسطينيين لسنا ملزمين أو مضطرين لتحمل تكلفتها الباهظة، ولا يتردد الرجل في اعتبار «اتفاق أوسلو» الموقع بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل عام 1993، مدخلاً أرّخ لحقبة سوداء في تاريخنا الحديث، ندفع ثمنها إلى اليوم، مع تصاعد القتل والاستيطان والتهويد والهدم والتهجير، والانتهاكات على اختلاف صنوفها بحق الأسرى والمسرى، في نتيجة حتمية للانتقال من الخنادق إلى الفنادق.

التلازم بين الاتفاق، الذي تمسكت به السلطة، وتصاعد الإجرام الإسرائيلي، وقضم الحقوق وهضم الثوابت، أسّس لحالة غير صحيّة ولا سويّة، كانت ستتكفل بشكل أو بآخر، في إصابة القضية الفلسطينية في مقتل، لولا أنّ فصائل المقاومة استدركت على الواقع، واستطاعت خرق المشهد المتراخي، وإبقاء الجذوة النضالية مشتعلة، يُضيف المفكر الفلسطيني، حتى جاء تحرير قطاع غزة، من غير قيد أو شرط، ليُحدث انقلاباً في المشهد، دلٍ عن أن دحر الاحتلال ليس مستحيلاً، بل هو في حدود الممكن والمستطاع.

من هنا، يستدعي شفيق الماضي لمُقارنته بالحاضر، ويخاطب التاريخ ليحاكي اليوم والغد، هيَ ليست مرحلة البكاء على الأطلال، بل التغني بالمنجزات من منظور استراتيجي واسع، لا ضيّق الأفق. وإذا أردنا تبسيط المفردات، أو حتى فلسفتها، فالمحصّلة واحدة، صحيحٌ أننا لم ننتصر بالمعنى الشامل، ونقتلع المشروع الصهيوني، لكنّ الاحتلال أيضاً يعجز عن الانتصار عملياً منذ العام ألفين، وهو الذي اعتاد في حقبة خلت، على المبادرة، موقناً بقدرته على «حسم» أي معركة في غضون أيام، إن لم نقل ساعات، وهذه في حد ذاتها هزيمة للكيان في حدود معينة، وقدرة ردع اعتبارية في جعبة المقاومة، إذا ما وضعنا موازين القوى على الطاولة.

وبالحديث عن الأيام، وفيَ معرض دعم الفكرة بالشواهد، يمرّ شفيق، على عدد من الحروب التي أعقبت بداية الألفية الثانية، وعلى رأسها حروب غزة الكثيرة، وحطِ رحاله شذراً -نظراً لتأخر الوقت حيث كنت من ضمن ثلة من الأصدقاء- في حرب الأيام الخمسة الأخيرة، التي سُمّيت «ثأر الأحرار»، مشيراً إلى «خمس بخمس»، وفي الخمس الثانية، غمرٌ رمزي من قناة حرب النكسة عام 1967 من القرن الماضي، التي تسمى في الواقع بحرب الأيام الستة، لكنّ يوماً زائداً حينها، بيوم ناقص في حيننا، ليس بالأمر الذي يُتوقف عنده كثيراً.

المقارنة هذه لفتتني واستوقفني وإستولت على تفكيري بعض الشيء، فأخذتِ أقلّبها في رأسي ظهراً لبطن. مما لا شك فيه، أنّ ما يفعله الفلسطينيون، بإمكانياتهم المتواضعة، وقدرتهم المحدودة عسكرياً وجغرافياً وسياسياً، أقرب إلى الإعجاز، ولم يكن ليصدّقه أحدٌ ربما، لو قيل قبل عقدين من الزمن. مِن يصدق أن إسرائيل التي هزمت كلاً من العراق ومصر وسوريا والأردن في حزيران عام 1967، واحتلّت غزة والضفة الغربية، بما فيها شرق القدس، فضلاً عن سيناء والجولان وجنوب لبنان، تعجزُ أمام شريط ضيّق اسمه قطاع غزة، خالٍ من التضاريس ومتطلبات المناورة، ويمتد فقط على مساحة 360 كلم مربع، بطول 41 كلم، وعَرض يتراوح بين 5 و15 كلم!

إسرائيل التي أوقعت في حرب الأيام الستة، أكثر من 25 ألف شهيد من القوات العربية، ودمرت أكثر من 80% من العتاد الحربي لجيوش الدول العربية، وهجَّرت مئات الآلاف من الناس، وقلبت موازين الصراع رأساً على عقب، مِن يتوقع أن هذا الكيان المحتل نفسه، سيفشل عام 2023 - رغم استعانته بكل أدوات الإجرام الموصوف- في تدمير البنية العسكرية للمقاومة في غزة، وفي إيقاف الصواريخ التي تسقط بإحداثياتها ومداياتها وتوقيتاتها، على المواقع والمستوطنات من بئر السبع إلى تل أبيب، وأبعد من ذلك، بل ويُوقِع على نص اتفاق صاغته الأيدي القابضة على الزناد.

أي تحوُّل هذا الذي تكون المقاومة الفلسطينية فيه صاحبة عنوان «الطلقة الأخيرة»، وقواعد: «القصف بالقصف»، و«القدس بالقصف»، و«الاغتيال بالقصف» إلخ، من دون أن نغفل الإشارة إلى تفصيل محوري، مفاده أن الاحتلال لم يعد يجرؤ على الحديث عن اجتياح عسكري، لمعرفته حُكماً بالتكاليف الباهظة التي ستترتب على حماقة غير محسوبة من هذا القبيل.

من هذه الزاوية، تذكرت كلاماً لبعض علماء النفس، يقولون من جملته، إنَّ «من يتحدث كثيراً يُنجز قليلاً»، وما جلسات تقدير الموقف لقادة الاحتلال، وتصعيد اللهجات الخطابية الشعبوية، إلا دليل على قلة الإنجاز وضعف الحيلة.

منير شفيق متفائل، وأنا مثله، وليس مستبعداً أن نعيش لنرى انفراط عقد إسرائيل، وسقوط عمرانها كأحجار الدومينو.

**ما يفعله الفلسطينيون، بإمكانياتهم المتواضعة، وقدرتهم المحدودة عسكرياً وجغرافياً وسياسياً، أقرب إلى الإعجاز، ولم يكن ليُصدّقه أحدٌ ربما، لو قيل قبل عقدين من الزمن**

الأخبار
al-akhbar
السبت 3 حزيران 2023 العدد 4929

# المفكرة

### فراس وهاشم ومجدي: مقامات وضروب

■ يوم الأربعاء المقبل، يحيي الفنان اللبناني فراس عنداري (الصورة) أمسية جديدة في «برزخ» بعنوان «جلسة سمع: مقامات وضروب». إلى جانب هاشم عبد القادر (غناء) ومجدي زين الدين (إيقاع)، يقدّم فراس (غناء وعود) عرضاً ثلاثياً حيّاً يتركّز على المقامات الموسيقية. المقام عبارة عن تتالٍ لعلامات موسيقية وفق أبعاد معينة وقواعد مضمونة لتصنيف اللحن الموسيقي. تتميز هذه المقامات بطابعها الارتجالي حيث يمكن التطريب والابتداء بالعزف من غير تهيئة والزخرفة في كل لحن. إحياءً لهذا الفن الأصيل، يمنح الموعد المرتقب فرصة للسميعة للإصغاء إلى نماذج من تراث الموسيقى العربية والمقامية الأصيلة من الشام ومصر وتركيا والمغرب. هكذا، يتألّف البرنامج من وصلات موشّحات وقدود وأدوار وتواشيح ومالوف.

**«جلسة سمع: مقامات وضروب»: الأربعاء 7 حزيران (يونيو) الحالي ـ الساعة الثامنة والنصف مساءً ـ «برزخ» (شارع الحمرا) ـ للاستعلام: 76/678856**

### محمد باقر الصدر: إضاءات منهجية

■ في مناسبة مرور 43 عاماً على شهادة المرجع السيد محمد باقر الصدر (1935 ـ 1980/ الصورة)، يدعو «معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية»، يوم الأربعاء المقبل إلى حلقة بحثية بعنوان «إضاءات منهجية في فكر السيد محمد باقر الصدر». النشاط الذي يديره الإعلامي حسن خليفة

ويحتضنه المعهد في مقرّه في الصفير (ضاحية بيروت الجنوبية)، تتخلله مداخلات لكل من: الشيخ حسن بدران (الشهيد الصدر بين أصالة القدرة أو أصالة العلية)، السيد صادق الموسوي (المنهج السنني عند الشهيد الصدر في مواجهة التيارات التجزيئية)، الشيخ أحمد أبو زيد (منهج الشهيد الصدر في الاستقراء وتطبيقاته في تراكم الاحتمالات في أصول الفقه)، الشيخ سمير خير الدين (الشهيد الصدر وموقفه من المنطق الأرسطي) والباحث أحمد ماجد (المؤثرات الغربية في فكر الشهيد "إشكالية التلفيق والتأصيل").

**حلقة بحثية بعنوان «إضاءات منهجية في فكر السيد محمد باقر الصدر»: الأربعاء 7 حزيران (يونيو) الحالي ـ الساعة الرابعة بعد الظهر ـ مقرّ «معهد المعارف الحكمية» (مجمّع الإمام المجتبى ـ الصفير/ ضاحية بيروت الجنوبية ـ الطبقة الرابعة). للاستعلام: 05/642191**

### يا عم الشيفور

■ ضمن برنامجها لشهر حزيران (يونيو) الحالي، تتيح منصة «أفلامنا» الإلكترونية للراغبين فرصة مشاهدة الفيلم التجريبي القصير «يا عم الشيفور» (2021 ـ 21 د) للفنانة التونسية الشابة بايا مظفر (الصورة)، بدءاً من يوم الخميس المقبل. لعدم جدوى الصلاة في إخراجهما من الهلاك، يشق المسافر وظلّه طريقاً تتقاطع فيه الصور والأصوات التي تتشكّل، فتتشوّه مع كل خطوة يخطوانها في ذاك السبيل. تستوقفهما تجلّيات ليلقيا نظرة أو ليسترقا السمع، قبل استئناف مسيرتهما مهتديان بذكريات مهترئة لدرجة أنّها تبدو من زمن آخر؛ زمن طفولتنا.

**فيلم «يا عم الشيفور»: بدءاً من الخميس 8 حزيران 2023 على «أفلامنا» (www.aflamuna.online)**

## ذكرى

# في عيده المئة... ماذا قال نجوم سوريا عن نزار قباني؟

**وسام كنعان**

ما زال لنزار قبّاني (1923 ـ 1998) حضور بارز على الساحة العربية. إنّه «رئيس جمهورية الشعر» الذي ما زالت قصائده بطراوتها تبارز جلافة الأيّام، وتخفّف بمرونتها من وطأة الحلكة وثقل الزمان المحبط، وتترك فرصة للابتسامة. خفّة لم يقبض عليها شاعر مثله. لذا، ستظلّ تجربته متفرّدة، لها حظوتها ومكانتها مهما تغيّر الزمن. وعلى الرغم من طول غيابه، ستجد من يحتفل بعيد ميلاده المئة! وهو ما حصل في دمشق أخيراً عندما نُظّم في هذه المناسبة احتفال خيري أُهدي إلى روحه، برعاية وزارة السياحة السورية وبتنظيم من مؤسسة My Syria.

في بيت دمشقي قديم، ازدحم بنجوم الدراما السورية وخصوصاً صنّاع مسلسل «نزار قباني» (كتابة الراحل قمر الزمان علّوش وإخراج باسل الخطيب) الذي يحكي قصّة حياته. كانت كل زاويةٍ تدلّ على الشاعر المرموق. فإمّا تحتضن بيت شعر له، أو صورة أرشيفية... فيما كان كورال «غاردينيا» يشدو بعضاً من قصائده التي أدّاها مغنون عرب. «الأخبار» كانت حاضرة وتحدّثت مع الضيوف عن الفعالية والراحل. البداية مع النجمة صباح الجزائري التي جسدت دور والدة نزار في المسلسل، معربةً عن سعادتها: «لم أتردد للحظة في قبول هذه الدعوة اللطيفة، لأنّه من الضروري أن نظل متيقّظين بذاكرة نشطة تجاه مبدعينا، وأن نتحيّن الفرص لنحتفي بهم كلّما سنحت الفرصة».

أما النجم مصطفى الخاني، فشدّد على أنّ «هناك من يبحث عن تقديم الجمال والخصوصية السورية بأدق تفاصيلها وبأعلى حالاتها. وعند وجود هذا التكامل سواءً في الموضوع الخيري (ريع الحفلة ذهب للمحتاجين إلى ألبسة في عيد الأضحى) أو لناحية وجود فرقة «غاردينيا» التي تحمل خصوصية في زمن أصبح من الصعب جداً تقديمها، فكل العناصر أسهمت بأن يكون من واجبي الحضور». وعن ذكرياته مع شعر نزار، يقول: «عندما يُذكر اسم نزار قباني يغمرني بحر من الشعر، إذ لا يمكننا اختصار اسمه بعنوان واحد، لأنّه صاحب إرث شعري وثقافي». من جانبه، أعرب المخرج باسل الخطيب عن سعادته بحالة الوفاء للشاعر السوري، وفخره «بهذا النوع من الفعاليات».

وأكّدت رنا شميس أنّ وجودها هو تكريم لها، مضيفةً: «عندما تقدّمت لاختبار القبول في «المعهد العالي للفنون المسرحية»، قدمت جزءاً من قصيدة «إلى تلميذة»، لذا سيبقى حضور هؤلاء متّقداً ومنجزهم فاعلاً رغم غيابهم».

من ناحيتها، اعتبرت جيني إسبر أنّه «من الصحي أن نجتمع في هذه الأجواء الدمشقية الجميلة، ونحن بحاجة لهذه الفعاليات الثقافية بالتحديد للتركيز على الأساس الذي بُني المجتمع العربي والسوري عليه بطريقة حضارية، خصوصاً في دمشق لأنّها كانت مليئة بالأدباء والمثقفين. ومن المفترض تعريف الجيل الجديد بهؤلاء، ولا سيّما في زمن التدفّق الرقمي المهول والذكاء الاصطناعي اللافت».

المغني محمد باش كان حاضراً أيضاً، وأشار إلى أنّه «لا يمكن أن نكتفي من كلمات شاعر مثل نزار قباني وهو من رفد الأغنية العربية بمئات القصائد التي صنعت مجداً حقيقياً لأجيال متلاحقة من المطربين». وفي هذا السياق، قالت الممثلة الشابة ترف التقي إنّه «كبرنا وتربيّنا على أشعار نزار قباني... وما زلت أحفظ الكثير من قصائده لأنّه بالنسبة إلى جيلنا كان رمزاً للحب والرومانسية».

# «القفز والوثب»

**تحرير «إنّما»**

اختار رجل الغلاف أن يحملق فينا وهو معلقٌ في الهواء. الألوان التي تغمر مدينته شاحبةٌ تشي بمزاج متخم بالكرب. البنايات وراءه تبدو متراصّة، مشيّدة مثل القلاع القديمة، لكن سقوفها مائلة كظهر عجوز على وشك أن يتهاوى. الشقق زاخرة بالعتمة كما لو أن أعمدة الإنارة المتصدّعة وشرائط الكهرباء المبعثرة، من شأنها إثارة الكركبة والإضاءة على القباحة فحسب. المشهد برمته معطّل. كل الأشياء الموجودة لا تعمل، ومع هذا، فإنها تصر بإلحاح على بقائها ثابتة لا تتزحزح، جامدة مثل صنم وثني خالد.

للأعطال أضرارها، منها أن يتفشى فيك القلق كطفح جلدي لأنك مكبّل في مدينة تعجز عن الانفكاك عنها، أو أن ينهشك الاغتراب ويتركك شاحب الوجه تقيم في المنازل القاتمة، فيما بقاؤك هناك ليس سوى تقيّد محكم؛ إذعانٌ للعواقب المشمئزة والثواب المستحيل.

من يريد الانزياح عن هذا السبات العقيم لا بدّ من أن يقفز. لقد قرر رجل الغلاف أن يضع مدينته بين قاب قوسين، والتفلّت من ادّعائها القاتل ومزاجها المكروب. يقفز لأنه رفض العماء الذي تفرضه عليه لطخات اللون الذابل ليضيء طريقه بلون الشمس.

لا هو متشبثٌ بالحبال ولا هو آبه بسقوطه. تعلو على وجهه نظرة تعاند السهو، يتفتق منها ما يجعله يُحرّك أصابعه: المثابرة في التخطي، المضي قدماً، والالتواء قفزاً بدلاً عن الوقوف استقاماً، وهذا أشبه بالاستطراد، أي الانتقال من موضوع إلى موضوع، أو ما سمّاه الكاتب المغربي عبد الفتاح كيليطو آخَذاً المصطلح عن الفرنسي مونتين، بالقفز والوثب.

قد يتهيأ لأحدنا أن إطالة النظر إلى رجل الغلاف مضنية، تُتعب الناظر وترهق نظره. يحدث ذلك إن قررنا النظر من زاوية تشبه فتحة المفتاح الموجودة في الباب، تلك المساحة الضيّقة التي تسمح للمتلصص أن يرصد هدفه. لكن المراد من هذا العدد، الذي تهدف مقالاته إلى تقليب الأفكار رأساً على عقب، وإعادة فحصها من جديد، وأخذها، على طريقة الاستطراد، إلى أماكن أخرى، هو حثّ النظر إلى رجل الغلاف لتكون النظرة إليه أشبه بالتواطؤ معه، وكأنه في علوّه هذا يصقلنا معه، ففي النهاية، هذا هو تحديداً، المراد من هذه القفزة. فلنأخذ إذاً، تلك الحملقة على محمل الجدّ.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 3 حزيران 2023
العدد 4929 السنة السابعة عشرة
Samedi 3 Juin 2022 nº 4929 17ème année

# كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

سالي دافيس ــ «امرأة مسلمة» (2022)

# ليلى أبو لغد

## حروب الغرب وكذبة إنقاذ المرأة المسلمة

**محمد ناصر الدين**

«كتبتُ هذا الكتاب لجمهور غربي في المقام الأوّل. شعرت بأنّ من واجبي الشروع في هذه المهمّة حين رأيت توظيف الحركات النسوية واستخدام القلق «المُعلَن» بشأن النساء المسلمات في تبرير تصعيد التدخّلات العسكرية والأميركية في منطقتنا، أوّلاً في أفغانستان ثمّ في العراق. لقد كانت الحرب تُشَنّ باسم إنقاذ النساء المسلمات».

بعد عشرين عاماً على هذه الدراسة القيّمة، صدرت أخيراً النسخة العربية من كتاب الباحثة الفلسطينية الأميركية ليلى أبو لغد «هل تحتاج المرأة المسلمة إلى إنقاذ» (صفحة سبعة ـ ترجمة محمد الرحموني). على طول الفصول الستة للكتاب الصادر بالإنكليزية عام 2013، حشدت الباحثة الحجج والدلائل والأفكار حول الافتراضات السائدة في الولايات المتحدة وأوروبا في ما يتعلّق بالقضايا الخاصة بالمسلمين وحقوق المرأة، ومختلف أنواع التوجهات النسائية السائدة اليوم. افتراضات يمكن أن تخلق ما يسمّيه المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي «الحس العام». بعد كتابها الأول «مشاعر محجّبة» (1986) الذي درست فيه مجتمع البدو في صحراء مصر الغربية وعرضت فيه العديد من الأمور المذهلة مثل القصائد الشعرية المؤثرة التي كانت النسوة في تلك المنطقة يزهون بها ويتحدّثن فيها عن آرائهنّ في الرجال والعلاقات الاجتماعية والحياة عموماً، تابعت أبو لغد في كتابها الثاني تظهير فردانية الكثير من تجارب النساء العربيات والمسلمات، ولا سيما في مصر وفلسطين ومراجعة كل نزوع أنثروبولوجي غربي نحو تصنيف الثقافات انطلاقاً من أفكار شائعة تُغلّف بلبوس علم الاجتماع. كما حددت للدراسة هدفاً يتمثّل في تغيير نظرة الجمهور النسوي للموضوع، مع أمل بأنّ ما جمعته من إفادات قد يُقنع هذه الحركات بصعوبة الإحاطة بالنظام الأبوي أو الوقوف على كيفية اشتغال السلطة على نحو دقيق. أهمية هذا الكتاب في خضمّ الأحداث التي عصفت بالمنطقة منذ الحادي عشر من سبتمبر التي ربطت عمليّاً بين صورة المرأة المسلمة المضطهدة وبين المهمّة المنوطة بالغربيين لإنقاذها من براثن هذه الثقافة، هو في الكشف عن الفجوات والأخطاء القاتلة التي اكتنفتها هذه الجدلية. إذ إن الحركات النسوية التي توجّهت إلى أفغانستان مثلاً بكل جهازها الإنساني والقانوني، ما لبثت أن نقلت منهجيّات عملها وأدواتها إلى العراق حيث كان حظّ المرأة من التعليم والعمل وحتّى المشاركة السياسية هو الأوفر مقارنة بنظيراتها في العالم العربي. كما تغفل التنوع الهائل في حياة النساء اليومية وتطلّعاتهن داخل العواصم العربية وتلك العوالم ذات الغالبية الإسلامية.

اختارت الباحثة توجيه حججها نحو المناقشات العامة المحمومة في الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا، حيث يجري تحويل الحجاب والشرف والدين والختان إلى أسلحة وجعل هذه المواضيع جزءاً من «الشرق الساحر الغريب»، مع ما ينطوي عليه ذلك من تداعيات قاسية على النساء المسلمات اللواتي يعشن في هذه الأماكن. تنجح الدراسة في موضعة معركة النساء في العالمين العربي والإسلامي في سياق المعركة الكبرى لاستعادة الكرامة والأمان والعدالة عند هذه الشعوب: «موقفي ليس معادياً للنسوية على الإطلاق، بل آمل أن يؤدي إلى فهم أعمق للقوى المتعددة التي تعرقل العدالة التي تسعى إليها النساء، أيّاً كانت اللغة التي تعبّر عن رغباتهنّ في العدالة والكرامة. تشمل هذه القوى بالطبع السياسات الخطيرة التي تمثّل النساء المسلمات كمجموعات متجانسة يجب التحدّث عنها، بغضّ النظر عن هوية المتحدّث، والسياسات الاستراتيجية والمحلية التي تعمل على تكميم أفواه مجموعات معيّنة، وجعل الحياة غير آمنة، وتقويض احتمالات النقاش والنقد الصريحين اللازمين للمجتمعات لمعرفة كيفية جعل العالَم أكثر عدالة أو فتح الباب لجعل الحياة أكثر أماناً وكرامة للجميع. مثل هذه القضايا لا تختلف في حيويتها وإلحاحها في العالم العربي عن أيّ مكان آخَر».

ملف

# نوّارة أحمد فؤاد نجم... محاولة الـقبض على «الأب الغائب»

**انشغلت الأوساط الثقافية المصرية، في الفترة الماضية، بأحدث إصدارات نوارة احمد فؤاد نجم (1973) «وانت السبب يابا... الفاجومي وانا» (دار الكرمة ــ 2023) الذي يحكي سيرة مختلفة عن احمد فؤاد نجم (1929 ــ 2013). إنها الابنة الوسطى لشاعر العامية المصرية الشهير، والصحافية والناقدة المسرحية صافي ناز كاظم، التي تُعد ابرز كاتبات جيلها. ورثت عن ابيها «طولة اللسان»، ووضوح الموقف، فشاركت وهي في الجامعة، في منتصف التسعينيات، مع زملائها في وقفة احتجاجية ترفض مشاركة الكيان الصهيوني في معرض صناعي اقيم في مصر، والقي القبض عليها وقضت في السجن نحو اسبوعين. قبل ثورة 25 يناير 2011، كتبت نوّارة مقالات في صحيفتي «الوفد» و«الدستور» تناولت صعوبة الاوضاع المعيشية تحت اسم «اضحك مع الشعب». تعدّ نوارة من الجيل الاول من المدوّنين المصريين، اشتهرت بمدوّنتها «جبهة التهييس الشعبي» التي وصل عدد زوارها وقت الثورة إلى نحو 30 الف زائر يومياً، وتعد احد ابرز وجوه ثورة يناير**

تقديم وإعداد **محمد الخولي**

يظهر الكتاب وجهاً آخر لاحمد فؤاد نجم: شديد الضعف والهشاشة في مواجهة المواقف الإنسانية والأزمات الشخصية

لم تكن نوّارة نجم تنوي كتابة حكايتها مع والدها. ظلّت لنحو عشر سنوات تحاول استيعاب غيابه، تحادثه كأنّه حيّ، تتّصل به علّه يرد على هاتفه. رفض عقلها تصديق الحقيقة.

استمرت على ذلك حتى جاءت وفاة أختها الكبيرة عفاف، بعد عام واحد من وفاة نجم، ثم الوفاة المفاجئة لأختها الصغيرة زينب (1992ــ 2022). وقتها، قرّرت نوّارة الكتابة، لكن هذه ليست مجرد كتابة عن شخص عادي، وإنما عن شاعر احتل مساحة كبيرة من الوجدان الجمعي

## ناقد اجتماعي وسياسي شجاع، ومحبوب الفقراء والمحرومين ورمز وبطل شعبي

بمواقف وقصائد ثورية، بعضها لحّنه وغنّاه رفيق دربه الشيخ إمام عيسى، فرُدّدت في التظاهرات وهزت عروش من جلسوا على كراسي الحكم، ما عرّضه للاعتقال والسجن لسنوات في عهد الرئيسين جمال عبد الناصر وأنور السادات.

لكنّ احمد فؤاد نجم كان كثير الظهور، لا يخجل من قول أي شيء في أي مكان سواء كانت جلسة خاصة أو ندوة أو لقاء تلفزيونياً، بالإضافة إلى أنّه كتب مذكراته تحت عنوان «الفاجومي»، وكتب أصدقاؤه عنه كثيراً، فماذا ستكتب نوارة؟ هكذا سألت نفسها! وإجابة، ستكتب عن ابيها.

جلست تكتب قصتها/ قصته «عبر إلى إظهار أي جانب بطولي أو نضالي في حياة نجم، بل أرادت الحديث عن رحلتها في البحث عن «الأب الغائب». لذلك، كان واضحاً صوت ورؤية طفلة مرّت مع أبيها «بأحداث لم تفهم بعضها، وطبّعت مع جُلّها باعتبار أن هذه طبيعة الأشياء، ثم تبيّنت حين نضجت أنها ليست كذلك، وأن هناك تجربة إنسانية تستحق أن تروى إن بدت عاديةً». في كتابة نوارة، يظهر نجم آخر غير الذي يعرفه كثيرون: «شديد الضعف والهشاشة في مواجهة المواقف الإنسانية والأزمات الشخصية التي يفقد فيها قدرته على حسن التصرف وسرعة البديهة التي يتمتع بها في الشأن العام». شخص ينام بجوار ضريح الحسين، ويؤمن بكرامات الأولياء، ويرفض أن تصرخ نوارة لوجود لصّ في بيتهم. يقول لها «عشان الراجل ما يتكسفش، (لا يحرج) أكيد حاله صعب عشان يسرق من بيت زي بيت نجم». هذه وغيرها من الحكايات التي ذكرتها نوارة بلغة ساخرة، لم تُخفِ الألم الفقد وقسوة غياب الأب، فقد كان «مثل الرّئيق لا يمكن الوصول إليه إلا بشق الأنفس».

لهذا جاء اختيارها لصورة الغلاف وهي طفلة مع أبيها: «اخترت صورة الغلاف من اللحظة الأولى. صورة لطفلة لا ترغب في الابتسام وأبوها يشير لها كي تنظر إلى الدنيا وهو يبتسم، أظنّ أنّ هذا تلخيص جيد لمشاعري».

في الكتاب، يبدو أن هذه الطفلة تسعى «لفهم الصورة الكاملة، الأحداث التي رويتها كانت تؤلمني متقطعة، لكن حين أطلقت العنان لذاكرتي ورويت القصة كاملة، وجدت العذر لكلّ طرف في القصة وأطلقت سراح الجميع» تقول نوارة، قبل أن تضيف: «لم تختلف نظرتي إلى أبي من الطفولة إلى المراهقة، فالنضج. طالما كان على قيد الحياة، كنت دوماً مبهورة وفخورة به، واسعى إلى أن يلحظني ويلتفت إليّ لكنه كان مشغولاً».

اللحظة الوحيدة التي اختلفت فيها نظرة نوارة إلى نجم هي بعد الانتهاء من الكتاب: «شعرت بمدى عمق الحزن والأسى اللذين كان يدفنهما خلف السخرية وخوفه من المشاعر القوية الذي كان يغلّفه بالاستبالة وحيل الهروب». تلك الحيل التي تعلّمها نجم هي نتاج تجاربه الكثيرة في الحياة، منذ أن كان طفلاً بين سبعة عشر أبناً، يعيشون في بيت واحد. بعد وفاة والده، انتقل للإقامة في بيت خاله في مدينة الزقازيق، في محافظة الشرقية، لكنّ الخال أودعه في مدرسة داخلية يبيت فيها التلاميذ، أي «ملجأ للأيتام». كانت هذه صدمة للطفل المتعلّق بأمه. تقول نوارة: «حتى تعدّد زيجاته الذي كان يؤلمني، علمت بعدما رويت القصة أنه كان يبحث عن أمّ بسبب معاناته من التخلي في الطفولة». تضيف: «أظن أنّ علاقته بأمه أثّرت على علاقته بالحياة بشكل عام، وبالنساء ومصر بشكل خاص وبشكل أخص علاقته بي». لقد كانت نوارة «أم أبيها»، ونجم «شرح لي أنّ التراث المصري حوّر لقب «أم أبيها» إلى اسم «ستّ أبيها» هذا الاسم الريفي الشهير» بحسب نوارة.

على صفحات الكتاب، نتابع تطور العلاقة بين الأب والابنة؛ أشتياق وغضب ورضا ثم صداقة، تلك الطفلة التي انفصل أبواها، واضطرت إلى ترك مصر والسفر مع أمها إلى العراق، هرباً من الملاحقة الأمنية بسبب مواقفها السياسية.

في الغربة، بدأت نوّارة تعي غياب والدها. لا شيء يربطها به سوى صوره وقصائده، وما يصل بغداد من أغنيات الشيخ إمام، وشرائط كاسيت متبادلة بينهما. تشتاق إلى كلّ ما يشبهه. ترى أنّه يشبه عادل إمام، الذي كانت تُعرض مسرحياته بشكل مكرر على شاشة تلفزيون العراق. كانت تخبر مَن حولها باكتشافها، فيؤكّدون لها أنّ لا شبه بينهما أبداً، فتُجادل «أن لهما الجسد النحيل نفسه».

تعود الطفلة ذات الأربع سنوات إلى مصر في زيارة، بينما الأب في السجن، تذهب إليه مع أمها، تحملق فيه وتقول: «مش قولتلكم إنه شبه عادل إمام». كان هذا اللقاء الأول بين نجم ونوارة. وللدقة هو اللقاء الأول الذي تعيه نوارة، وليس مجرد صوت تسمعه على شريط كاسيت.

تحكي أنّ أكثر شريط كانت تحبه وتفضّله «لم يكن فيه أي شيء مميز. فقط تسجيل لرضيعة تضحك وتحاول بالكاد النطق، ثم تبكي فجأة وهو يقول: بابا أدو (عضني) أدو؟ أدو؟ أنت زعلان؟ لا يا روحي أنا ما أقدرش أزعلك.. ثم يدغدغني فأضحك حتى ينقطع نفسي، وهكذا يعضني فأبكي يدغدغني فأضحك.

إلى أن أسمع صوت أمي تقول كفاية البنت تعبت يا نجم». ترى نوارة أنّ هذا ملخّص علاقتها بوالدها «يعضني فأبكي يدغدغني فأضحك.. نقل لي مخي». في مرحلة المراهقة، كانت تتعمد إغاظته: «قلت له يوماً: قرأت الأعمال الكاملة لصلاح جاهين وهو أحسن منك. ردّ: طبعاً. فقلت له: لأ مش من قلبك. فقال: لا من قلبي، ثم صمت. وقال: على فكرة بنت صلاح جاهين بتحبّني أكتر منه وقالتلي زيك كده. أنتو عيال ولاد كلب».

هذه المحاولة لإغاظة نجم، كما كانت تراها نوارة، هي نتاج لإحساسها في تلك الفترة أنّها طفلة غير مرغوبة. والدها يعدها بزيارتها ولا يأتي، تذهب إليه في بيته الشهير في «حارة حوش قدم» فلا تجده، وإن وجدته، يكون وسط جمع كبير من مريديه. تهرول وراءه في الندوات والحفلات الغنائية التي يشارك فيها، فيتركها ويمشي على وعد بزيارتها. رغم كل ذلك، تقول: «كنت دوماً مبهورة وفخورة به، واسعى إلى أن يلحظني ويلتفت إليّ لكنه كان منشغلاً».

تستذكر نوارة فترة مراهقتها، واصفةً إياها بأنّها «أسوأ فترات حياتها» على الإطلاق، لأنها «واجهت قهراً مضاعفاً إلى حرمان الطفولة الذي تجدّد مع سفر أبي، وأضيف إليه إجباري على ارتداء الحجاب. ليس بيني وبين أمي أي عتب من أي نوع، ولا ألم سوى إلزامي بارتداء الحجاب وإشعاري أنّ لا مناص منه، وأنّه طبيعة الأشياء وشعوري بالقهر في هذه السنّ مع تغيّب أبي الذي لم يكن موجوداً للدفاع عني».

هذا القهر لم يكن من نجم وحده، و«إنما من الجميع» كما تقول نوارة، وتضيف: «إجباري على الحجاب في سنّ الحادية عشرة تجربة شديدة الإيلام، وتملؤني بالعتب والحسرة بكل أمانة. لا ألوم أبي فقط. مرّت عليّ لحظة لمت فيها الجميع، خصوصاً أفراد القبيلة (أصدقاء والدتها) مثل طنط شاهندة مقلد (الناشطة السياسية وواحدة من رواد الحركة النسوية 1938-2016)، وطنط وداد متري (الصحافية ومن رواد الحركة النسوية 1927- 2007) وطنط محسنة توفيق (الممثلة 1939-2019). أعلم أنّ ليس عليهن مسؤولية ولا لوم ولا عتاب، لكن في فترة من حياتي، لمت كل من حضر ولم يدافع عني، وقلت لطنط شاهندة إنها فضلت صداقة أمي عليّ، ولم تشأ أن تدخل معها في مشاحنة لأنني لست ابنتها كما تدّعي. وطنط شاهندة دافعت عن نفسها، وأخبرتني أنها تحدثت في الأمر مع أمي، لكنّ أحداً لا يملك أن يمنعها من تربية ابنتها بالشكل الذي تراه مناسباً ولا حتى أبي، وقالت لي إنّ أبي لم يبذل جهداً في تنشئتي يسمح له بالتدخل في هذا الأمر».

رغم الوجع الذي تحمله نوارة لإجبارها على الحجاب، وموقف أمها المتشدد منه، إلا أنّه طوال صفحات الكتاب، تبدو الأم بصورة البطل؛ فهي لم تتخلّ عنها أبداً، وعزّزت لديها صورة نجم الأب والشاعر والمناضل والمختلف والغلبان (الطيب)، واحترمت قرارها بالإصرار على حضور نجم في تفاصيل ابنته رغم أنه كالزئبق».

كبرت نوارة وصارت شابة وتحوّلت علاقتها مع والدها إلى الصداقة. ترجع ذلك إلى سببين «أولهما أم زينب (زوجة نجم الأخيرة) التي نجحت في تكوين بيت يصلح لمقابلته، وثانيهما أنني كنت وصلت إلى السن التي يحسن أبي التعامل معها. هو يحبّ الأطفال لكنه يرتبك أمامهم. روحه الشابة تمكنه من التواصل مع الشباب دوماً».

رغم كل الألم الذي عاشته نوارة في طفولتها، لكنها سامحته، ونجحت في علاج نفسها من التروما التي لازمتها طوال حياتها: «زرت قبره وطلبت منه السماح، وقلت له سامحني يا بابا إني لومتك على المقدر والمكتوب». تقول نوارة بأن هذا «التسامح جاء من رواية القصة كاملةً. اللقطات المؤلمة في حياة الإنسان، تحتاج إلى وضعها في سياقها لتفهم جذورها»، ولا تتمنى نوارة أن يمرّ طفل/ طفلة بما مرت به، «الموقف كان صعباً ومؤلماً».

وقّعت نوارة في نهاية الكتاب باسمها بالكامل، ذاكرةً حتى جدّها السادس. حتى ذلك، فعلته إرضاء لأبيها، إذ تقول: «وقعت باسمي كاملاً لتأصيل النسب الذي كان أبي يعتزّ به. فأبي هو الوحيد من بين إخوته الذي كان يشبه والده طبق الأصل. بقية أعمامي وعماتي جميعهم يشبهون جدتي هانم (أم نجم)».

الآن لا تعلم نوارة أحمد فؤاد نجم كيف استقبل أبوها كتابها عنه، في حياته الأخرى، لكنها ترجو أن يتمكّن من قراءته.

عربياً الشاعر محمود درويش. ويقدمها «صندوق الأمير كلاوس» الذي أنشئ عام 1996 بهدف دعم المبادرات الثقافية وإثراء التبادل الثقافي مع الأفراد والمنظمات في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية والكاريبي». أشارت اللجنة في حيثيات فوز نجم بها إلى أنّه «شاعر بارع، وناقد اجتماعي وسياسي شجاع، ومحبوب من الفقراء والمحرومين، وهو رمز وبطل شعبي».

تضحك عندما نسألها إن كانت تشعر بأنّها محظوظة. ترد: «ليس هناك شخص محظوظ. الناس تأخذ حظوظها على قدر ما قُسم لها».

لم تسع نوارة، عبر صفحات الكتاب، إلى إظهار أي جانب بطولي أو نضالي في حياة نجم، بل أرادت الحديث عن رحلتها في البحث عن «الأب الغائب». لذلك، كان واضحاً صوت ورؤية طفلة مرّت مع أبيها «بأحداث لم تفهم بعضها، وطبّعت مع جُلّها باعتبار أن هذه طبيعة الأشياء، ثم تبيّنت حين نضجت أنها ليست كذلك، وأن هناك تجربة إنسانية تستحق أن تروى إن بدت عاديةً». في كتابة نوارة، يظهر نجم آخر غير الذي يعرفه كثيرون: «شديد الضعف والهشاشة في مواجهة المواقف الإنسانية والأزمات الشخصية التي يفقد فيها قدرته على حسن التصرف وسرعة البديهة التي يتمتع بها في الشأن العام». شخص ينام بجوار ضريح الحسين، ويؤمن بكرامات الأولياء، ويرفض أن تصرخ نوارة لوجود لصّ في بيتهم. يقول لها «عشان الراجل ما يتكسفش، (لا يحرج) أكيد حاله صعب عشان يسرق من بيت زي بيت نجم». هذه وغيرها من الحكايات التي ذكرتها نوارة بلغة ساخرة، لم تُخفِ الألم الفقد وقسوة غياب الأب، فقد كان «مثل الرّئيق لا يمكن الوصول إليه إلا بشق الأنفس».

لهذا جاء اختيارها لصورة الغلاف وهي طفلة مع أبيها: «اخترت صورة الغلاف من اللحظة الأولى. صورة لطفلة لا ترغب في الابتسام وأبوها يشير لها كي تنظر إلى الدنيا وهو يبتسم، أظنّ أنّ هذا تلخيص جيد لمشاعري».

في الكتاب، يبدو أن هذه الطفلة تسعى «لفهم الصورة الكاملة، الأحداث التي رويتها كانت تؤلمني متقطعة، لكن حين أطلقت العنان لذاكرتي ورويت القصة كاملة، وجدت العذر لكلّ طرف في القصة وأطلقت سراح الجميع» تقول نوارة، قبل أن تضيف: «لم تختلف نظرتي إلى أبي من الطفولة إلى المراهقة، فالنضج. طالما كان على قيد الحياة، كنت دوماً مبهورة وفخورة به، واسعى إلى أن يلحظني ويلتفت إليّ لكنه كان منشغلاً».

اللحظة الوحيدة التي اختلفت فيها نظرة نوارة إلى نجم هي بعد الانتهاء من الكتاب: «شعرت بمدى عمق الحزن والأسى اللذين كان يدفنهما خلف السخرية وخوفه من المشاعر القوية الذي كان يغلّفه بالاستبالة وحيل الهروب». تلك الحيل التي تعلّمها نجم هي نتاج تجاربه الكثيرة في الحياة، منذ أن كان طفلاً بين سبعة عشر أبناً، يعيشون في بيت واحد. بعد وفاة والده، انتقل للإقامة في بيت خاله في مدينة الزقازيق، في محافظة الشرقية، لكنّ الخال أودعه في مدرسة داخلية يبيت فيها التلاميذ، أي «ملجأ للأيتام». كانت هذه صدمة للطفل المتعلّق بأمه. تقول نوارة: «حتى تعدّد زيجاته الذي كان يؤلمني، علمت بعدما رويت القصة أنه كان يبحث عن أمّ بسبب معاناته من التخلي في الطفولة». تضيف: «أظن أنّ علاقته بأمه أثّرت على علاقته بالحياة بشكل عام، وبالنساء ومصر بشكل خاص وبشكل أخص علاقته بي». لقد كانت نوارة «أم أبيها»، ونجم «شرح لي أنّ التراث المصري حوّر لقب «أم أبيها» إلى اسم «ستّ أبيها» هذا الاسم الريفي الشهير» بحسب نوارة.

على صفحات الكتاب، نتابع تطور العلاقة بين الأب والابنة؛ أشتياق وغضب ورضا ثم صداقة، تلك الطفلة التي انفصل أبواها، واضطرت إلى ترك مصر والسفر مع أمها إلى العراق، هرباً من الملاحقة الأمنية بسبب مواقفها السياسية.

في الغربة، بدأت نوّارة تعي غياب والدها. لا شيء يربطها به سوى صوره وقصائده، وما يصل بغداد من أغنيات الشيخ إمام، وشرائط كاسيت متبادلة بينهما. تشتاق إلى كلّ ما يشبهه. ترى أنّه يشبه عادل إمام، الذي كانت تُعرض مسرحياته بشكل مكرر على شاشة تلفزيون العراق. كانت تخبر مَن حولها باكتشافها، فيؤكّدون لها أنّ لا شبه بينهما أبداً، فتُجادل «أن لهما الجسد النحيل نفسه».

تعود الطفلة ذات الأربع سنوات إلى مصر في زيارة، بينما الأب في السجن، تذهب إليه مع أمها، تحملق فيه وتقول: «مش قولتلكم إنه شبه عادل إمام». كان هذا اللقاء الأول بين نجم ونوارة. وللدقة هو اللقاء الأول الذي تعيه نوارة، وليس مجرد صوت تسمعه على شريط كاسيت.

تحكي أنّ أكثر شريط كانت تحبه وتفضّله «لم يكن فيه أي شيء مميز. فقط تسجيل لرضيعة تضحك وتحاول بالكاد النطق، ثم تبكي فجأة وهو يقول: بابا أدو (عضني) أدو؟ أدو؟ أنت زعلان؟ لا يا روحي أنا ما أقدرش أزعلك.. ثم يدغدغني فأضحك حتى ينقطع نفسي، وهكذا يعضني فأبكي يدغدغني فأضحك.

إلى أن أسمع صوت أمي تقول كفاية البنت تعبت يا نجم». ترى نوارة أنّ هذا ملخّص علاقتها بوالدها «يعضني فأبكي يدغدغني فأضحك.. نقل لي مخي». في مرحلة المراهقة، كانت تتعمد إغاظته: «قلت له يوماً: قرأت الأعمال الكاملة لصلاح جاهين وهو أحسن منك. ردّ: طبعاً. فقلت له: لأ مش من قلبك. فقال: لا من قلبي، ثم صمت. وقال: على فكرة بنت صلاح جاهين بتحبّني أكتر منه وقالتلي زيك كده. أنتو عيال ولاد كلب».

هذه المحاولة لإغاظة نجم، كما كانت تراها نوارة، هي نتاج لإحساسها في تلك الفترة أنّها طفلة غير مرغوبة. والدها يعدها بزيارتها ولا يأتي، تذهب إليه في بيته الشهير في «حارة حوش قدم» فلا تجده، وإن وجدته، يكون وسط جمع كبير من مريديه. تهرول وراءه في الندوات والحفلات الغنائية التي يشارك فيها، فيتركها ويمشي على وعد بزيارتها. رغم كل ذلك، تقول: «كنت دوماً مبهورة وفخورة به، واسعى إلى أن يلحظني ويلتفت إليّ لكنه كان منشغلاً».

تستذكر نوارة فترة مراهقتها، واصفةً إياها بأنّها «أسوأ فترات حياتها» على الإطلاق، لأنها «واجهت قهراً مضاعفاً إلى حرمان الطفولة الذي تجدّد مع سفر أبي، وأضيف إليه إجباري على ارتداء الحجاب. ليس بيني وبين أمي أي عتب من أي نوع، ولا ألم سوى إلزامي بارتداء الحجاب وإشعاري أنّ لا مناص منه، وأنّه طبيعة الأشياء وشعوري بالقهر في هذه السنّ مع تغيّب أبي الذي لم يكن موجوداً للدفاع عني».

هذا القهر لم يكن من نجم وحده، و«إنما من الجميع» كما تقول نوارة، وتضيف: «إجباري على الحجاب في سنّ الحادية عشرة تجربة شديدة الإيلام، وتملؤني بالعتب والحسرة بكل أمانة. لا ألوم أبي فقط. مرّت عليّ لحظة لمت فيها الجميع، خصوصاً أفراد القبيلة (أصدقاء والدتها) مثل طنط شاهندة مقلد (الناشطة السياسية وواحدة من رواد الحركة النسوية 1938-2016)، وطنط وداد متري (الصحافية ومن رواد الحركة النسوية 1927- 2007) وطنط محسنة توفيق (الممثلة 1939-2019). أعلم أنّ ليس عليهن مسؤولية ولا لوم ولا عتاب، لكن في فترة من حياتي، لمت كل من حضر ولم يدافع عني، وقلت لطنط شاهندة إنها فضلت صداقة أمي عليّ، ولم تشأ أن تدخل معها في مشاحنة لأنني لست ابنتها كما تدّعي. وطنط شاهندة دافعت عن نفسها، وأخبرتني أنها تحدثت في الأمر مع أمي، لكنّ أحداً لا يملك أن يمنعها من تربية ابنتها بالشكل الذي تراه مناسباً ولا حتى أبي، وقالت لي إنّ أبي لم يبذل جهداً في تنشئتي يسمح له بالتدخل في هذا الأمر».

رغم الوجع الذي تحمله نوارة لإجبارها على الحجاب، وموقف أمها المتشدد منه، إلا أنّه طوال صفحات الكتاب، تبدو الأم بصورة البطل؛ فهي لم تتخلّ عنها أبداً، وعزّزت لديها صورة نجم الأب والشاعر والمناضل والمختلف والغلبان (الطيب)، واحترمت قرارها بالإصرار على حضور نجم في تفاصيل ابنته رغم أنه كالزئبق».

كبرت نوارة وصارت شابة وتحوّلت علاقتها مع والدها إلى الصداقة. ترجع ذلك إلى سببين «أولهما أم زينب (زوجة نجم الأخيرة) التي نجحت في تكوين بيت يصلح لمقابلته، وثانيهما أنني كنت وصلت إلى السن التي يحسن أبي التعامل معها. هو يحبّ الأطفال لكنه يرتبك أمامهم. روحه الشابة تمكنه من التواصل مع الشباب دوماً».

رغم كل الألم الذي عاشته نوارة في طفولتها، لكنها سامحته، ونجحت في علاج نفسها من التروما التي لازمتها طوال حياتها: «زرت قبره وطلبت منه السماح، وقلت له سامحني يا بابا إني لومتك على المقدر والمكتوب». تقول نوارة بأن هذا «التسامح جاء من رواية القصة كاملةً. اللقطات المؤلمة في حياة الإنسان، تحتاج إلى وضعها في سياقها لتفهم جذورها»، ولا تتمنى نوارة أن يمرّ طفل/ طفلة بما مرت به، «الموقف كان صعباً ومؤلماً».

وقّعت نوارة في نهاية الكتاب باسمها بالكامل، ذاكرةً حتى جدّها السادس. حتى ذلك، فعلته إرضاء لأبيها، إذ تقول: «وقعت باسمي كاملاً لتأصيل النسب الذي كان أبي يعتزّ به. فأبي هو الوحيد من بين إخوته الذي كان يشبه والده طبق الأصل. بقية أعمامي وعماتي جميعهم يشبهون جدتي هانم (أم نجم)».

الآن لا تعلم نوارة أحمد فؤاد نجم كيف استقبل أبوها كتابها عنه، في حياته الأخرى، لكنها ترجو أن يتمكّن من قراءته.

## سيرة الكشف والمُساءلة

**إسلام العزازي**

في واحد من السجالات المُعتادة بين نوّارة نجم، وأبيها الشاعر أحمد فؤاد نجم، طرحت عليه الابنة سؤالاً محفوفاً بالغضب والعتاب: «لماذا خلّفت بنات طالما لن تكون مسؤولاً عنهن؟». لم يرد «الفاجومي». وبعد فترة قصيرة، هاتف ابنته يُخبرها أنّه كتب تترٍ بدايةً ونهايةً لمُسلسل جديد بعنوان «حضرة المُتّهم أبي». كانت الأغنيتان عبارة عن سِجال مُشابه لما حدث بين فؤاد نجم وابنته على امتداد علاقتهما.

في كتاب «وانت السبب يابا»، تسرد نوّارة نجم هذه الحكاية، التي يُمكن وضعها كمتن قادر على جمع مضمون العلاقة مع شاعر العامية المصري أحمد فؤاد نجم (1929- 2013)، ليس بينه وبين بنائه فقط، وإنما بينه وبين تجربة الحياة، حيثُ التهوّر الذي يُورث الخطأ، ثم الصمت، متبوعاً بالاستدراك المحفوف بأمانة الاعتراف والتصالح في الاشتباك مع الحياة بنديّة.

في مطلع كتابها، تُحدد نوّارة سبباً عملياً للاشتغال على كتابها، وهو أنّه لا يتعلّق بفؤاد نجم الذي نعرفه، كجمهور، لأن نجم ترك وراءه سيرة ذاتية منشورة وقصائد كثيرة، وأغنيات، وتجربة نضالية شديدة الثراء، إضافةً إلى حوارات ولقاءات وحياة مشاعية يتناقلها الوسط الثقافي المصري من دون أي حذر من انتهاك سريّة ما، لأنّ نجم ذاته كان يُجيد كشف نفسه بفضائحية كاشفة. ترك نجم وراءه ثلاث فتيات من زيجات مُختلفة. رحلت اثنتان وتبقّت نوّارة، ابنة الصحافية والناقدة صافيناز كاظم، أولى زوجات أحمد فؤاد نجم. رأت نوّارة أن ما يفقده نجم، ليس سيرة ذاتية، إنما شهادة جوّانية عن حياته، يحكيها شخص من قلب التجربة. ولذا ظهر هذا الكتاب، الذي تستحيل حكايته إلى مُساءلات حول الأبوّة والبنوّة، ونقد لها، وامتداد كوني لتساؤل حول تجربة المثقف الأب، الذي يُجيد عادة أن يكون رمزاً أبوياً للجميع، بينما يتعثّر عادةً بأبوّته الفعلية.

جرت العادة في نوع السير الذاتية المكتوبة بالعربية، أن تكون أشبه بمُحاولة تجميل التصوّر الذهني عن كاتبها، كأنّ كتابة السيرة، في الأدب العربي، هو ورقة الشفاعة التي يُمكن أن تُعيد إنتاج الأخطاء، في صورة بطولية، أو تضع مُبررات لها. يدور كتاب «وانت السبب يابا» في فلك مُغاير، فهو لا يبحث عن محاولات تجميل، لأن صاحبه قد كشف نفسه في كُل مناسبة، مُتجاوزاً ضرورة التزام الشاعر أو الكاتب بتوديع الحياة، بالضرورة، تاركاً وراءه سيرة طيّبة ومُنمّقة. عملية بحث بسيطة على you tube عن أحمد فؤاد نجم، ستجده يتحدّث على الهواء، عن الحشيش والمُقويّات الجنسية. وفي فيديو آخر تسمعُ فلتات لسانه المُعتادة في أكثر من مرة. لذلك، فإنّ ابنته نوّارة أدركت أن مسيرة والدها لا ينفعها تجميل، ولا تحتاج لذلك بالمناسبة، لأنّها قامت أولاً وأخيراً على المُكاشفة.

ما كان ينقص حياة فؤاد نجم، هو شهادة من الداخل، وهذا تحديداً ما حاول الكتاب تقديمه، مُحاولة فهم آليات تكوين هذه الشخصية، مُلابسات تشكّل صفات مُفارقة لجيلها، بخاصة أنّ جيل الستينيات في مصر، حتى من شكّل الغضب والنضال الثقافي والسياسي مسيرتهم، شذّت فئة قليلة منه بهذه الدرجة تجاه التشرّد والانسلاخ من المُسمّيات الاجتماعية والتخفّف الكامل من كل مُتطلبات الحياة.

رغم أن فؤاد نجم، اعتمد في حياته على الكشف والوضوح، لم يشفع له ذلك في إدانته كأب، أو تتم مُساءلة دوره في علاقته ببناته وعائلته. تُركّز نوّارة في كتابها على استدعاءات من الذاكرة حول غربة تعامُل والدها معها. تحتفظ بصورته الأولى في رأسها، وهي في السابعة من عُمرها حين زارته في السجن. ذهبت نوّارة مع والدتها، بعد طلاق الأخيرة من نجم، إلى العراق. وحين عادت، رأت الوالد، للمرة الأولى، كسجين، وربما تكون هذه هي الصُورة المُناسبة لانطباع أول عن فؤاد نجم. إذ اعتاد أن يُعتقل خلال فترة حُكم السادات في مصر، بسبب كتاباته الناقدة بحدّة لسياسة الحُكم، وللسادات شخصياً. انتقادات كانت تحظى بحصدى واسع حين يُلحّنها ويُغنّيها صديقه الأقرب الشيخ إمام. خلال علاقتها مع والدها، لم تكن نوّارة تبحث عن الشاعر ذائع الصيت، وإنما عن صورته الأكثر أولية، صورة «الأب»، التي لم تحضر في علاقتها الحادة به إلا قليلاً. تُعيد نوّارة إنتاج كثير من الحكايات حول فؤاد نجم، وعلاقته بوالدتها بعد الطلاق، وكذلك علاقته بأصدقائه، مع أفكاره والتزامه الأخلاقي تجاه الفقر والتهميش وأهلهما. تنتج من كل هذه الحكايات تجربة ثرية، تقبلُ أن تحمل الشيء ونقيضه، إذ إن نجم، الذي كان يهرب من ابنته، لأيام، وربما لسنوات، هو ذاته الذي يفزعُ ويبكي مثل طفل، خائفاً، بسبب اعتقالها خلال نشاطها السياسي والصحافي.

لم تكن العشوائية الخلّاقة على مُستوى المُنتج الشعري، والظالمة لمضمون التزامات فؤاد نجم الاجتماعية، آتيةً من تلقاء نفسها، لأنّ نجم وُلد في حيّز عائلي يشملُ صراعات قُوى، فكان أبناء عمومته أثرياء، بينما هو ووالدته وعائلته الصغيرة أبراراً للفقر. لذلك، فإن نزع حميمية «البنوّة» في حياته، ونشوءه في ملجأ للأيتام، كانا مُشكّلاً للفزع الكبير من كونه أباً لاحقاً.

### نوعية الحكي والأبّ الرمزي

إضافة إلى تتبّع تجربة أبيها من الداخل، بعين قريبة منه، تُطارده دائماً، ينطوي كتاب نوّارة على بعدين جديدين في كتابة السيرة ضمن الأدب العربي. أولاً، امتداد مزاج المُكاشفة والأمانة الحكائية خلال سرد تجربتها مع الوالد والعائلة. إذ يشملُ الكتاب إدانةً لتشدد صافيناز كاظم الديني، وإجبار نوّارة على بعض التعاليم الدينية، وفي السياق نفسه، يشملُ إيجابية كاظم إزاء تواصل الابنة مع والدها، وإن تمنّع الوالد عن ذلك أحياناً. لا تنفي مُحاولات العتاب الودودة من قِبل نوّارة تجاه والدها، اعترافها بأنّه كان يطوي بداخله تكوينات شخص جيّد، وأب حنون، والأهم، مُتحرر رغم قسوة نشأته وذكوريتها. ربما كانت هذه هي التشكيلة المثلى للكتاب: أن يكون تجربة تنتمي إلى العادي، لا تتوقف عند الإدانة، ولا تُجمّل عمداً الصورة الذهنية المُكوّنة لدى الناس حول أحمد فؤاد نجم، بل أن يمثّل تناول التجربة امتداداً لسيرته هو. مع الحفاظ على الاستقلال في آلية الحكي، لأن نوّارة خلقت لغة مُتداخلة بين الفصحى والعامية، تتضمّن طيف فؤاد نجم شديد البساطة، ولا تنفي أنّ هناك طرفاً آخر، تتمسك به نوّارة، باعتبار أن لديها ما يُضيف مزيداً من المُكاشفة والوضوح حول هذه التجربة.

البُعد الثاني يتمثّل في إحالة صورة فؤاد نجم في الكتاب إلى نموذج، للهوّة الحاصلة بين الأبوّة الفعلية للمُثقف العربي، ووفرة أبوّته المجازية. لدينا آباء ثقافيون في الشعر والأدب والنضال السياسي، لكن ماذا عن أبوّتهم الفعلية، بخاصة حين تتوافر لدينا مادة سردية لتناول ذلك؟

خلال حقبتي الستينيات والسبعينيات، عايش مثقفو البُلدان العربية مرحلة فارقة في تاريخ المنطقة ككل، حين كان عبد الناصر، نموذج السُلطة في مصر، ليس فقط مُمثّلاً لمشروع تبنّاه عُموم المثقفين وآمنوا به، وإنما «أباً» للشعب. عقب الفشل الناصري، قُذف المشهد الثقافي المصري في قلب العراء. وظهر ذلك في مُنتج كثير من كُتّاب المرحلة، الذين مكثوا سنوات طويلة يُعيدون إنتاج مدى مرارة هذا الفشل من خلال مُنتجهم الفنّي. على مُستوى مُجتمعي، تم استبدال هذه النماذج في صورة آباء، مُتعددين، ذوي رموز، لصلحة المُجتمعات اللاحقة التي كانت تبحث عن معنى ومشروع سياسي وتجربة نضالية ثرية.

رُبما كان من حظ نوّارة الجيّد أن تشتبك مع تجربة أبوية ذات خصوصية، وتستبطن منها تجربة، وإن مريرة، لكنّها تظلّ فيها «ابنة» قادرة على إيجاد تعريفات شخصية لموقعها العائلي مع والدها. لكن هناك تجارب لم تُذكر، وربما لن تجد إمكانية الوساطة الأدبية والكتابية كي تُعبّر أن المجتمع الثقافي العربي، والمصري خاصة، شهد آباء رمزيين بالجُملة، بينما نُزع من أبنائه وبناته حق الأبوّة الفعلية.

قصة قصيرة

# تقرير عن جزيرة المنسيّين

**سعد هادي ***

رافقني في رحلتي تلك، دليلٌ ذو وجهٍ حزين، سار أمام البغل الذي امتطيه، وهو يهمهمُ، ويطوّح رأسه إلى الجانبين، لم يلتفت حين سألته، بعدما سرنا لأكثر من ساعة، في الطريق الذي يتلوى بين تلالٍ شاهقة:

- متى سنصل؟

أشار بيده إلى الأمام، وقال بضع كلمات لم أفهمها.

كان البغل يتوقّف أحياناً، يلوذُ بظلال الصخور العملاقة، فيُخرجُ هو غليوناً وكيس تبغ، ويجلسُ ليدخّن، أجلسُ أنا أيضاً، أخرجُ رُمّيتي وأقدّمها إليه، فيقول:

- لا أريد.

في منتصف النهار، وصلنا إلى مفترق طرق، رأينا علماً أسود من بعيد، أشار إليه قائلاً:

- هنالك تقع بدايةُ النفقِ، الذي يؤدي إلى الشرفة.

وجدنا جنديين قرب العلم، يحملُ كلٌ منهما بندقية قديمة، ردّ أحدهما بتثاقل على تحيّتي، أما الآخر فالتقط رسن البغل الذي ترجّلت منه، وربطه بعمودٍ حديدي مثبت في الأرض.

تقدّمني الدليل حين دخلنا إلى النفق، حاملاً قنديلاً، يصدرُ عنه ضوءٌ خافتٌ وكثيرٌ من الدخان، سرنا ببطء، وظلّت تتردد بالإضافة إلى وقع خطانا، أصواتٌ تشبه نواح جنيّات، يمرقن بخفةٍ عن شمالنا أو عن يميننا، مع ريحٍ باردةٍ تأتي من نهايةِ النفقِ، وقد تنفّستُ بعمقٍ، حين بلغنا تلك النهاية، وقيّض لي أن أرى ضوءَ الشمس ثانيةً.

كانت الشرفةُ الحجريةُ التي وقفنا فوقها، تطلُّ على هضبةٍ جرداء، تمتدُّ كأنها بلا نهاية، تنتشرُ في أنحائها أطلالُ بناياتٍ مهدمةٍ، وأكوامٌ طينية، وبقايا أسيجةٍ خشبية، وأكشاكٌ بلا سقوف، وحفرٌ، وتلالٌ رملية، وبقايا آبارٍ جافة، وعدا طيور متفرقة، يحلّقُ بعضها عالياً ثم يهبطُ ليقترب من الأرض، من دون أن يحط عليها، وبضع أشجار صنوبر جرداء، ومساحات متفرقة يكسوها عشبٌ أصفرُ، لم أرَ ما يشير إلى وجود أي نوع من الحياة فوق الهضبة، كان المشهدُ يمتد أمامي صامتاً، فكرتُ أنني أرى بقايا مدينةٍ مهجورة، غادرها سكانها، بسبب حربٍ، أو إثر وباء، أو بحثاً عن حَياةٍ أفضل في مكانٍ آخر، أو طردوا منها رغماً عنهم.

قلت للدليل:

- متى سأرى ما جئتُ من أجله؟

لم يردّ، رفع يده وحرّك ناقوساً معلّقاً عند حافة الشرفة، وخلال لحظات خرجت من الحفر والخنادق، ومن خلف الجدران المتداعية، وبقايا الأسيجة والتلال وهياكل المركبات، حشودٌ من الرجال والنساء، كانوا عراةً، بأعمار متباينة وسحناتٍ مختلفة، أسيويون، أفارقة، عرب، هنود، أوروبيون، سمر، بيض، سود، طوال، قصار، بدناء، نحاف، ظلّوا يركضون في أنحاء الهضبة، وهم يبكون ويصرخون، ويرددون ما يشبه التراتيل، يلطمون صدورهم، أو يركعون ساجدين، أو يتمددون كالموتى، ثم يرفعون حفنات تراب، فوقها، تطلُّ على هضبةٍ جرداء، تمتدُّ كأنها بلا نهاية، تنتشرُ في أنحائها أطلالُ بناياتٍ مهدمةٍ، وأكواخٌ طينيةٌ، وبقايا أسيجةٍ خشبيةٍ، وأكشاكٌ بلا سقوف، وحفرٌ، وتلالٌ رمليةٌ، وبقايا آبارٍ جافةٍ، وعدا طيور متفرقة، يحلّقُ بعضها عالياً ثم يهبطُ ليقترب من الأرض، من دون أن يحط عليها، وبضع أشجار صنوبر جرداء، ومساحات متفرقة يكسوها عشبٌ أصفرُ، لم أرَ ما يشير إلى وجود أي نوع من الحياة فوق الهضبة، كان المشهدُ يمتد أمامي صامتاً، فكرتُ أنني أرى بقايا مدينةٍ مهجورة، غادرها سكانها، بسبب حربٍ، أو إثر وباء، أو بحثاً عن حَياةٍ أفضل في مكانٍ آخر، أو طردوا منها رغماً عنهم.

قلت للدليل:

- متى سأرى ما جئتُ من أجله؟

لم يردّ، رفع يده وحرّك ناقوساً معلّقاً عند حافة الشرفة، وخلال لحظات خرجت من الحفر والخنادق، ومن خلف الجدران المتداعية، وبقايا الأسيجة والتلال وهياكل المركبات، حشودٌ من الرجال والنساء، كانوا عراةً، بأعمار متباينة وسحناتٍ مختلفة، أسيويون، أفارقة، عرب، هنود، أوروبيون، سمر، بيض، سود، طوال، قصار، بدناء، نحاف، ظلّوا يركضون في أنحاء الهضبة، وهم يبكون ويصرخون، ويرددون ما يحرّك شفتيه، كأنه يعدّ أرقاماً، أو يردّد تميمةً مع نفسه، أو يتكلم مع شخص لم أكن أراه، ثم رفع يده وقرعَ الناقوس، وخلال بضع ثوان اختفى جميعُ الرجالِ والنساء، تاركين زوابعَ من غبار، سرعان ما تبددت، وبقايا أصداءٍ تلاشت تدريجياً، ليحل صمتٌ عميقٌ بدلاً منها.

في طريق العودة، سألني حين جلسنا في ظلال إحدى الأشجار:

- هل تتذكر الحكاية الشهيرة، «ملابس الإمبراطور»؟

أومأت برأسي كأنني أقول، نعم، فأضاف:

- الذين رأيتهم هم أحفادُ وحفيدات شعب ذلك الإمبراطور، الذي خدعه نساجان محتالان، فسار عارياً بين الناس، وحين صرخ طفلٌ، أنت بلا ثياب، واكتشف هو حقيقة الأمر، غضبَ وأصدر أمراً بمعاقبة كلّ من كان في طريق موكبه، ثم نفاهم إلى هنا، ليعيشوا بين الصخور والأحراج، في أطلال مدينةٍ بلا اسم، لم تذكرها كتبُ التاريخ، ولم يحفل بها الجغرافيون ولا الرحّالة، يلاحقهم رعبُ الماضي وكوابيسه.

- ولكنهم ليسوا من جنسٍ واحدٍ، ولا يمثلون شعباً بعينه.

- ذلك لأن لكلّ شعبٍ من شعوب الأرض إمبراطوره، الذي خدع، فسار عارياً في يوم ما، ولكن بينما تنتهي جميعُ الحكايات التي تروي ما حدث بغضب الإمبراطور، فإنها لا تسترسل في ذكر ما حدثَ لأتباعه، لم تُشر أيٌّ منها إلى ما عُوقبوا به، ولا إلى المكان الذي تم نفيهم إليه، لقد ظلّوا هنا، في جزيرتنا، جزيرة المنسيين، لأنهم لا يعرفون إلى أين يذهبون، ولا ماذا سيفعلون إذا غادروها.

وقبل أن يودّعني عند بابِ النزلِ الصغير الذي أقيمُ فيه، قال:

- لن أكرر ما طُلب منك، أرجو أن لا تذكر في التقرير الذي ستكتبه أين تقع جزيرتنا، ولا كيف وصلتَ إليها، ولا من دعاك إليها، نريدُ مواصلةَ العيشِ بسلام، لا نريد أن يغزونا الفضوليون، أو أن تلقي المراكب الغريبة بكلِ من هبَ ودبّ، عند شواطئنا.

ثم سحبَ رسنَ البغل، وسار أمامه ببطء، حتى اختفيا في أحدِ الشوارعِ الفرعية.

عليَّ أن أشير في السطور التالية، إلى أنني لستُ كاتبَ قصص، ولا مؤلفَ حكايات، بل صحافيٌ، أكتبُ مقالاتي وتقاريري دائماً، عن أحداثٍ لها أساس واقعي، وبعد تقصٍّ للتفاصيل المتعلقة بها، قد يستغرق أسابيعَ أو شهوراً، أما إذا بدا ما رويته آنفاً خيالياً، أو صعباً على التصديق، فعليَّ أن أؤكد أنني عشته لحظةً بلحظة، ورأيتُ وقائعه بعينيّ، لم أخترع شيئاً ولم أفقه، ولم أترك العنانَ لمخيلتي لتحلّق بعيداً، ساضيفُ أيضاً، أنني محرجٌ أمام قرّائي هذه المرة، عليَّ أن ألتزم بما طُلب مني، لن أذكر اسمَ الجزيرة الحقيقي، ولا موقعها، ولا كيف وصلتُ إليها، ساتركهم مع تقريري حسب، وأمل أن تجدوا فيه ما هو مثير، وأتحرّج عن القولِ ما هو مفيد.

* العراق/ فنلندا



قصائد

# عبـــور

**علي عاشور ***

**1 - من نافذة المقهى**

أنظر إلى عبور باص النقل العام
وارائي هناك
وحيداً
أطالع الأشياء
من إحدى نوافذه الخلفية.

أطيل النظر منتظراً الباص القادم
علّني أراني معكِ
مشغولاً بضحكاتكِ
وعينيكِ
دون الالتفات
إلى نظرات الأشياء.

■■■

من مقعدٍ خلفي في باص النقل العام
أطالع الجالسين في المقهى
علّني المحكِ معي
نتحدث عن مستقبلنا
وأخطائي
عن كل هذا الثقل
في نظرتي.

■■■

على الطاولة
كوبُ قهوة وكتاب
يقابلني كرسيٌ مكتظٌ
برائحة غيابك.

■■■

جدار المقهى أبيض
مثلما تفضّلين لون جدارٍ
وتأنس له عيناك

مثلما هو الآن
ممتلئٌ
بعينيك.

**2-قصاصات صفحة باردة**

غرابٌ واقفٌ
على شجرةٍ يغطيها الثلج
نقيٌ، وناصعٌ
أكثرُ من الشجرة والثلج.

■■■

ما فائدة الصعود إلى الأعلى دون
أن يصعد الأسفل معك.

■■■

العدم: وجع الصمت المطلق.

■■■

كل هذا الكلام المكتظّ في سكوت
النظرة
كل هذا الجمود في ارتعاش
الشتاء
كل هذه الحفرة في السقوط

هذا السقوط ..
وأنتِ

لو أستطيع قراءة سَبورة الطفل
الذي في هاويتي.

**3 ـ عندها ...**

تلك الليلةُ
التي كنّا فيها وحيدين معاً.

وحيدانِ
يمتصّانِ بعضيهما
في كلِ تلك الحلكة
بكلِ ذاك التعب
في الطريقِ إلى حجرٍ
يشحذُ الذاكرةَ
ويرمّمها
من بقايا علاماتٍ
على جسدها.

الليلةُ التي ارتجفت
وغطّاها
رملٌ كثير.

**4ـ وصيّة**

أريدُ أن تُحرق جثتي
يوم جنازتي
ويُحمَلُ رمادي على جناحِ نورسٍ
ينثُرهُ في البحر
حتى إذا ما ابتلعتني الأسماكُ
واصطادها قدرُ الشبكِ
أعود إلى مائدة أحبّتي
وأدوبُ في أعماقهم
لكن
من أنا
لأمنع حقَّ الأحبةِ بالوداع
ودفن ماضيهم.

**5ـ المارّ**

تمشي وحيداً
وترى حبيبتك تمشي معك.
وحيداً
جداً.
وحدتك أشدُ برداً من وحشة البرد
في شتاءٍ وحيدٍ
مرّ ولم يشعر به الكائنُ

وفيه
تمشي وحيداً
وترى حبيبتك تمشي معكَ
وحيداً جداً
وأنت في حقيقة العيشِ في
الوحدة، والبُعدِ.

وتراها ..
تمشي معك
وهو وحيدٌ
وحيدٌ جداً.

**6ـ تردد البارحة**

كان البردُ جالساً
إلى طاولة المطبخ
كانت الكأس

كان وحيداً
يفتحُ كتاباً
ويكرعه بنفَسٍ واحدٍ
مقلّداً ليلةً طويلة

■■■

كان البردُ وحيداً
حتى جاء صاحبه

كانت الكأس
وظلّها
مشغولين
في امتهان الضوء

وكان كتابُ
ينتظر
ليلةً طويلة

■■■

كان وحيداً وبرداناً
ينظرُ إلى كأس
تشبه ليلةً طويلةً
تقلّب أنفاسَ كتاب

■■■

كان وحيداً
عندما جاء البردُ
وجلس بجنبه.
قدّم له كأساً
وكتاباً.

كان وحيداً عندما جاء البردُ
عندما جاءت ليلةٌ طويلة.

* السعودية/ كندا

فاك ـ «نافذة 3» (برونز ـ 69 × 72 × 40,5 سنتم ـ 2015)

# من رسائل الريف

**محمد جابر النبهان ***

**(0)**
لا أحد ينتبه للغريب
حين يقول في ساعة متأخرة:
أريد أن أعود إلى البيت!

**(1)**
لستُ هنا
ولستُ أنا طعم الحنين الأول
إلى البحر،
لغتي شجرٌ
والمسافة ثلجٌ
وأبيضُ هذا المساء،
يداي برد المغادر
ويداك خوف الغياب..
لا، لست أحداً
ولا ذاكرة.

**(2)**
الغابةُ؛
تتّسع حين تضيق جهة الغابة،
الغابة تلتهم الوقت،
والماءُ في كل جهة، لا يؤدي إلى
ضفة أو ماء.
وحده، يكتب رسائل يقرأها
لنفسه مرتين في صباحين
مختلفين،
في فارق التوقيت،
لا زمن واحد للوحيد،
والصباحات جهتان
مثل نهرين خارج الغابة لا
يلتقيان.

**(3)**
وهذا النهر؛
صديق الصباحات الوحيدة،
سلام البط المهاجر من بعيد
لبعيد.
للطبيعة حزنان يا صاحبي؛
حزنٌ أبيض مثل تغريبة نورسٍ
وحزنٌ غراب!

**(4)**
جنوباً
أعبرُ، كمسافر أخير
يتوقّف في قريةٍ صغيرة
ينتظرُ قطار بضائع يعبر الريف
من مدينة كبيرة إلى مدينة
كبيرة..
كمسافر وحيد
في قريةٍ صغيرة
ينتظر قطاراً آخر يمرُّ،
ريثما يأخذه طريقُ الجنوب
لمسافاتك الوحيدة!

**(5)**
لا أعرف أن أقول أحبُّكِ
دون أن تولد في عينيّ دمعتان

**(6)**
مثل يوم عاديٍ
نمضي،
كلٌ له أسبابه ومسافاته وسبيله
حتى وأنت تنظر الآن من نافذة
غيابك
ليومٍ عادي بعد المطر!

**(7)**
في بلدةٍ،
مثل هذه، تغفو على كتف غابةٍ
تتقن الطبيعة أعمالها
وتنذرُ العصافيرُ بعضها في
العواصف
وما عليك سوى أن تنصت جيداً
وتفرّق بين صوتٍ وصوت
بين صمتٍ وصمت
وبين موتٍ وموت
فقط، أنصت جيداً
لأصوات جوقة العصافير
ثم غرّد وحيداً إن أردت!

**(8)**
لا أعرف بماذا كان يفكر فان غوغ
وهو يرسم زهرة الشمس
أيّ صوت ريفٍ، في روحه، يشدّه
للأقاصي
بحاسّة سمع مبتورة
ربما كان مثلي
يسمع بقلبه عشقاً بدائياً
كزهرة شمس قديمة
في ريف بعيد.

**(9)**
علّمتني امرأةٌ ريفية كيف أصنع
فزّاعةً
في موسم الذرة
من جذعين وثياب قديمة
قلتُ لها لست فلاحاً ولا أرض لي
هناك
قالت «ستحتاجها لحقل حلمك
يا بني!»

**(10)**
لم يطلقوا عليه وحيد القرن
لقرنه الوحيد
كل حياته عزلة ومهالك
ومجازفات،
يعبر الممرات ذاتها،
يتمرغ في وحل الزمن،
يسهر وحيداً،
يحسب الباقي من مساءاته
وحين يخرج في الصباح
يترصّده الصيادون، وتعيش
على ظهره
الحشرات والأفات والطيور
العابرة
ترتع،
ثم تأكل،
ثم تتركه وحيداً،
كقرنه الوحيد.

**(11)**
مثل كلب أليفٍ
لعائلة مهاجرة
أنتظر كلما ذهبوا إلى أعمالهم
ساكناً،
أراقب الطريق من نافذة تطل على
الشارع،
والعابرين
أحرس الباب،
والبريد،
والساعة المعلّقة على الجدار
المقابل،
أراقب الوقت،
والأحذية..
ريثما يرجعون!

**(12)**
المزارعون طيّبون
لأنهم رفقاء الشجر والحيوانات
الأليفة والماشية،
رفقاء الأرض والطين والماء،
أبناء الفجر والمواويل
والذكريات الطرية مثل زند فتاة
تشمّر أول الصبح لغسيل
البارحة.

المزارعون طيّبون
لكنهم يحتفظون أحياناً ببندقية
في زاوية ما،
يحتاجونها حين يعجز حصان
عن الحياة،
حين تثقل ساقاه، وينكسر ظهره
من الحزن،
يطلقون عليه رصاصة الرحمة
وهم مغمضون.

كحصانٍ مغمض،
أنتظر مزارعاً طيباً.

**(13)**
عندما كنت أسكن قريباً من النهر
علّمني شابٌ من سكان البلدة
الأصليين
صيد السمك بخيط وديدان
مطاطية
صار صديقي،
وكل عصر نلتقي
يرمي خيطه،
ويثرثر عن الحكومة وقانون
صيد البطّ
والضرائب ونساء البيض،
عينه تراقب بطة بريّة محظورة
الصيد
وكلما اقتربت علقت سمكة في
خيطه
كان يخرجها بسرعة،
يضعها في كيس السوبرماركت،
ويعيد خيطه للماء، ينتظر بطة
بريّة أن تقترب
ذات غروب،
سهت بطة واقتربت منا،
لوى عنقها بحركة خاطفة
دسّها في كيس السوبرماركت
بعدما رمى السمك في حضني
ولم يعد للنهر من حينها..

**(14)**
في بلدتي..
أحياناً، ينزل الثلج مرة واحدة في
نيسان،
مرة بسيطة وعابرة،
فقط ليلفت الانتباه
وكأنه يريدنا أن نقول له
«وداعاً أيها الأبيض»
ونغني:
أحياناً عندما ينزل الثلج في
نيسان
لا نلبس معاطفنا الثقيلة
نترك الثلج يبلّل ذراعينا
مثل وداع بارد
مرة أخيرة أيها الأبيض،
ريثما نستعيد شمس أيامنا!

**(15)**
كل صباح يمرّ سرب غربان
من أوّل الغابة إلى جهة الشرق
ويرجعون في الغروب
في كلّ مرّة غرابٌ واحدٌ
يتأخّر عن السّرب
وياخذ السماء كلها بجناحيه
يعبر وحيداً وواثقاً
الغراب نفسه،
أعرفه..
أعرفه من غربته!

**(16)**
مرت العاصفة
سقطت شجرة قديمة في شارعنا
القديم
هكذا، سقطت بكل ثقلها وتعب
العمر
اقتلعت فجأة من جذورها
وارتمت في عرض الشارع.
سيظل مكانها خالياً، فيما تكمل
بقية الأشجار حياتها
في هدوء ما بعد العاصفة.

**(17)**
وأعرفُ أني
لست سوى ذلك الغريب الذي
لا يتذكّره بيتٌ في آخر المطاف،
لا هدايا باسمهِ تحت شجرة عيد
الميلاد،
ولا حكايات الأهل عند موقد
المساء،
لا شيء..
غير ركنه البارد
في «خاطر» الذاكرة!

**(18)**
وأعرف أنكِ لست هنا
ولستُ سوى رجل يكتب
ليتذكّر أن امرأة واحدة كانت
ستقرأ حكايته
في حياته العادية

لست سوى رجلٍ ميتٍ
يحرس كلمات مَيتة!

* الكويت

لوسيا ادفيرس ـ من دون عنوان (فوتوغرافيا على ورق فني ـ 2020)

حسني رضوان ـ «منفى 19» (حبر والوان مائية على ورق ـ 31 × 40 سنتم ـ 2022)

مذكرات

# إسماعيل شموط... يوميّات احتلال الكويت

**تهاني نصّار**

منذ أن بثت إذاعة لندن في الأول من آب (أغسطس) عام 1990 خبر «انهيار المفاوضات الكويتية-العراقية في جدة»، بدا للتشكيلي الفلسطيني إسماعيل شموط (1930-2006) أنّ الفلسطيني محكوم بهذا القدر أينما رحل وأنّ النكبة بالنسبة لهذا الشعب ليست حدثاً واحداً انتهى زمنياً مع التطهير العرقي والتهجير القسري وإعلان دولة الاحتلال، بل هي أشبه بلعنة لا مفر منها. ابن مدينة اللد الذي أجبر على ترك بلدته لاجئاً إلى مخيم للنازحين في قطاع غزة، ثم بعد محطات عدة، ظنّ أنه استقر في بيروت حيث تزوج من الفنانة الفلسطينية تمام الأكحل، اضطر للهجرة مجدداً عام 1982 إلى الكويت، لكنه لم يسلم هناك أيضاً. بعد تسعة أعوام من العمل في الكويت، حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ لم يكن أحد ليصدق أنّ بلداً عربياً سيغزو ويحتل بلداً عربياً شقيقاً، لكنه حصل حين قصفت القوات العراقية مبنى وزارة الإعلام ثم احتلته وأذاعت من محطة إذاعة وتلفزيون بغداد بيان إسقاط الحكم الكويتي والإطاحة بعائلة الصباح. حينها، قلق إسماعيل شموط على أبنائه بلال وبشار ويزيد، وسعى هو وتمام إلى ترحيلهم، مما وضعه أمام أسئلة وجودية: «متى نكون معاً؟» و«هل علينا أن ننشئ بيتاً سابعاً أو ثامناً جديداً؟».

في كتاب «أيام الغزو: يوميات إسماعيل شموط أثناء احتلال الكويت»، الصادر أخيراً عن «منشورات تكوين»، يدوّن إسماعيل شموط مذكرات كتبها منذ بداية الغزو وهو في الكويت، أعطاها للكاتب الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل الذي كتب بناءً على التاريخ المدوّن رواية سيعانية (أي مكتوبة على سبعة أجزاء) بعنوان «إحداثيات زمن العزلة» (1996) حفظت في مكتبة الكونغرس كعمل روائي تسجيلي عن الغزو. تزيّن الكتاب لوحة «الطريق» التي رسمها شفوط عام 1964، وتظهر الوجوه البادية في اللوحة حزناً واضطهاداً شديدين، وكانت قد عرضت في «متحف برلين الوطني» في سبعينيات القرن الماضي.

في الملاحظة الأولى، يمكن التنبه إلى أنّ الكتاب هو مادة خام، وتدوين لتطور الأحداث السياسية والأمنية والاقتصادية التي رافقت الغزو العراقي للكويت، موشّى بيوميات شموط. يمتد الكتاب على ثمانية فصول أعطاها عناوين الشهور التي حدث خلالها الغزو، بدءاً من آب «اللهّاب». تحضر في بداية الكتاب، مقدمةٌ للكاتب الكويتي المعروف، وصاحب رواية «ساق البامبو» الشهيرة سعود السنعوسي، عنونها: «إحدى وثلاثون سنة... هي رحلة هذه الأوراق، قبل أن تصير كتاباً بين يديك! ». يتناول السنعوسي رحلة هذا الكتاب أو الـ450 صفحة التي دونها شموط في مطلع تسعينيات القرن الماضي، حتى تحوّلت من مسودّة محفوظة في علبة كرتونية إلى كتاب بين يدي القارئ اليوم.

**تدوين لتطور الأحداث السياسية والأمنية والاقتصادية**

مع الفصل الأوّل، يشير شموط إلى أنّ المشكلات السياسية التي اختلف بسببها البلدان (بئر الرميلة، النفط على الحدود الكويتية العراقية وجزيرة بوبيان التي طالب العراق بامتلاكها وغيرها) لم تعد اختلافات بين بلدين عربيين، بل تفاقمت الأزمة بوتيرة سريعة لم يتوقعها أحد. إنه كتابُ تاريخي تسجيلي شخصيّ في آن معاً: «لم تُرد تمام إزعاجي، وهي أكثر الناس معرفة بحالتي الصحية، فأفقتُ مبكراً نسبياً على صوت أناشيد وطنية مختلطة، مع مناقشات غير مألوفة في البيت صباحاً. ففي اليوم الثاني للاجتياح، أعلنت وسائل الإعلام العراقية تشكيل حكومة مؤقتة للكويت من دون ذكر أسماء أعضائها لتبرر أن قدوم القوات العراقية لاحتلال الكويت كان تلبية لنداء أهل الكويت الذين قاموا بثورة شعبية، ونجدة لانتفاضة فئية وربما غير كويتية»، عن تغيير اسم الكويت من دولة الكويت إلى جمهورية الكويت، وأصدرت قراراً بضمها إلى الجمهورية العراقية. ساعتها دعا الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك الذي ندد بالعدوان وطالب بضرورة التراجع عنه، إلى عقد اجتماع للقمة العربية. عند التصويت على القرار، انقسمت الدول العربية بين مندد ومؤيد ومتحفظ فيما غابت تونس عن القمة.

هنا، يأتي سؤال الرسام الفلسطيني: «كيف سقطت الكويت وبهذه السرعة المذهلة؟». في الوقت عينه يشير: «بعد يوم أو اثنين وبعد أن صحا الناس من هول ما حدث، تنادى الشباب الكويتي، فراحوا يفتشون عن سبل للتعبير عن مقاومتهم للاحتلال العراقي بالوسائل المدنية أو العسكرية كاستعمال السلاح ضد الجنود والآليات العسكرية العراقية. ولم يكن يمضي يوم بعد يوم من الاحتلال، من دون أن تضرب وتحرق آلية عسكرية عراقية أو تفجر بمن فيها».

يقوم الكاتب في الفصلين الثاني والثالث بتصوير الحياة اليومية في الكويت إبان ذلك الاحتلال: لقد بدأ الجنود العراقيون بالتواجد عند مداخل الشوارع الفرعية وأقاموا حواجز في الشوارع الكبيرة، وأعلنت السلطات العراقية عن ضرورة تسيير الحياة بالقوة في «المحافظة التاسعة عشرة للعراق، محافظة الكاظمية أي الكويت، في حين كان البلد مضرباً والأسواق مقفلة مقاومة للاحتلال». جاء أثر الاحتلال العراقي للكويت شديداً على الشعب، وبدا أن المواقف السياسية المختلفة انعكست على الناس في حياتهم اليومية في الكويت المحتلة خصوصاً موقف «منظمة التحرير الفلسطينية»: «صحيح أن الموقف الفلسطيني كان مائعاً في هذه القضية، وقد اسهمت وسائل الإعلام العربية والغربية في تكبير الصورة المشوّهة للفلسطيني، وأنه مؤيد للإرهاب لأنّ الذي وقف مع الأرهابي والدكتاتور صدام حسين هو ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية». هذا الموقف الملتبس و«الملتورط في المنتصف» -كما يشير الكتاب- انعكس على الوجود الفلسطيني في الكويت، فمساء أحد أيام أيلول (سبتمبر) دقّ الجرس، وإذ بشاب كويتي يسأل إن كان سكان المنزل كويتيين حتى يوزع عليهم مؤونة. وحين علم أنهم فلسطينيون اعتذر ولم يعطهم شيئاً. ورفضت بعض المحلات «بيع منتجاتها للفلسطينيين»، حتى إن «سيدة كويتية دفعت زوجته تمام الأكحل قائلة: أنتم لا تزالون هنا، ارحلوا عنا».

يجول صاحب لوحتي «العطش» و«المعشوقة» بين الأخبار اليومية والآنية بدءاً من مقابلة لحسني مبارك أشار فيها إلى «أنّ جميع الفلسطينيين لا يؤيدون صدام ولا يقفون معه في غزوه للكويت، إنهم في موقف صعب. إنّ مقر منظمة التحرير الفلسطينية موجود في بغداد، وليس بوسع عرفات أن يعلن بأنّ العراق على خطأ، فإذا قال بأن غزو العراق للكويت أمر غير مشروع، سوف يواجه كثيراً من المشكلات وأنا أعذره وأشفق عليه».

في الفصل الرابع، وهو «تشرين الثاني/ نوفمبر» عام 1990، بدأ الضغط الدولي على الرئيس العراقي آنذاك صدام حسين حيث هدد جورج بوش الرئيس الأميركي بالتحرّك العسكري، فكان جواب العراق بأنّ «المنطقة ستشتعل وسيحترق الأخضر واليابس... وأن آبار النفط وإسرائيل ودول الخليج ستكون أهدافاً للعراق». هنا، وفي الكويت، انعدم الأمن وأصبح الكل ينتظر حلاً: «وإن كانت الحرب مقررة فلتحدث لأن الكويت لم يتبقّ منها الكثير». مع الفصل الخامس وشهر كانون الأول (ديسمبر)، سرعان ما أضحت القضية مرتبطة جذرياً بالموقف الأميركي مما يحدث. قال وزير الخارجية جيمس بيكر حينها: «لقد خوّل مجلس الأمن الدولي كافة الأعضاء استخدام القوة ضد العراق إذا لم ينسحب من الكويت قبل 15 يناير 1991. إنّ الانتظار [...] سيسمح لصدام حسين المواصلة في تشويه والقضاء على الكويت، وبناء ترسانة من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والعمل على تطوير قدرته في صنع أسلحة ذرية». في الوقت نفسه، كانت صور صدام حسين منتشره في جداريات الشوارع مرة باللباس العربي ومرة باللباس الكردي وأخرى باللباس العسكري، ولم تمر ساعة على الإذاعة أو التلفزيون من دون أن يُذكر اسمه. وعند الفصل السادس أي في كانون الثاني (يناير)، أيقن شفوط والأكحل أنّ عليهما تحضير الملجأ: ماء وأغطية؛ وأنزلا اللوحات عن الجدران لحمايتها وتفقدا الدار والمزروعات. أعاد ذلك ذكريات اجتياح بيروت 1982: «الاتصالات فيما بين الأقارب والأصدقاء، وما يجري خلالها من أحاديث؛ كلها ذات علاقة بالحرب المحتمل وقوعها في أي لحظة. يسألوننا ماذا نفعل، على اعتبار أننا أصحاب خبرة سابقة في هذا المضمار. بيروت 1982 وما قبلها من أحداث رهيبة مرت علينا أو على أحد منا». واندلعت الحرب. أعلن الراديو العراقي أنّ «العدوان قد بدأ وأن طائرات العدو ضربت أحياء سكنية مدنية واستشهد 23 مدنياً و60 جريحاً». في هذا الوقت كانت محطة «سي أن أن» الأميركية تبث أخباراً مصوّرة عما يجري في المنطقة، من بينها أسرّ جنود عراقيين ردّ العراق يومها بقصف تل أبيب بعدد من صواريخ السكود السوفياتية التي كان يمتلكها، فاحدث «تدميراً في حيفا وتل أبيب»؛ وخلّفت المعركة «بحيرة نفط عائمة في بحر الخليج تتجه نحو الشواطئ السعودية والعمانية».

في الفصل السابع، يظهر لنا الكاتب معالم المرحلة آنذاك: «استيقظنا باكراً على طرق باب فرغتنا من الشقيق جمال وزوجته لميس وهما يخبراننا بأن القرار اتخذ وأن المعركة البرية قد بدأت. قلنا: اللهم اجعله بداية لأيام خيّرة».

اللافت في هذه المذكرات أن إسماعيل شمّوط الذي قال عنه الشاعر الراحل محمود درويش «يده ترى وقلبه يرسم» لم يرسم أي لوحة إبان هذه الأحداث، بل فضّل التدوين. صحيح أنه أشار لإسماعيل فهد إسماعيل «أنه عاجزٌ عن الرسم»، ولكن هل كان ذلك كافياً لئلا يرسم طوال تلك الشهور الثمانية؟ لا إجابات شافية بالتأكيد، خصوصاً أنه منذ صغره أي تقريباً منذ عام 1952 رسم لوحات واقعية للنكبة وأحداثها ومفاعيلها. في الختام، يبقى «أيام الغزو: يوميات إسماعيل شموط اثناء احتلال الكويت» مادةً خاماً لأي عملٍ يرصد تطور الأحداث في تلك الشهور العجاف.



رواية

# غي دو موباسان: الحب كائن رهيب

**غنوة فضة**

لعل تلك النشأة التي عاشها الكاتب الفرنسي غي دو موباسان (1850-1893) ضمن أسرةٍ غير مستقرة، دفعته إلى الكتابة الواقعية، والميل لمصلحة الأبطال المنبوذين وضحايا العنف الاجتماعي. الشاب الذي تتلمذ على يد غوستاف فلوبير، وخضع لتوصياته في الكتابة برع في سرد القصص القصيرة، إلا أن له جانباً روائياً لم يسلّط الضوء عليه بما يكفي. وتعدّ «قلبنا» (1890)، الصادرة بترجمة عربية عن «دار فواصل» (ترجمة سلمان حرفوش) آخر رواياته التي كتبها وهو في أشد حالات مرضه.

تأخذ الرواية طابعاً واقعياً ورومانسياً، وتضمر أعجوبة من العواطف والأحاسيس، ويمكن أن تؤخذ كوثيقة ترصد التحولات الاجتماعية، ودراسة في الكشف عن أسباب انقلاب الأفراد وخضوع المجتمعات للتحول، من خلال مجموعة من الرجال والنساء في باريس، تجمعهم امرأةٌ اشتهرت بالسيدة «ميشيلا دو بورن»، تكشف الرواية عن حياتها كسيدة جميلة وتحفة بتراكض الجميع لطلب ودها. وهي كأرملةٍ عاشت زواجاً عنيفاً، وانفتاحها، يدفعها لتمنح أندريه ما لم تمنحه لأي من معجبيها. تقع العلاقة بينهما؛ يحركها ضجر امرأة صاغتها التناقضات، وتغذيها لهفة شاب وليه. ولعل غاية الكاتب تكمن في رصد التحول على شخصية المرأة في تلك الفترة، كأنه يهتف عبر خطابه المضمر في الرواية: وداعاً لتلك الرقة والشاعرية التي عاشها الأسلاف الغابرون. ندرك لامارت. تشتهر ميشيلا بجمالها الذي لا يضاهى، وتجسّد لكل من رآها ما وصفه موباسان «الكريزا» وتتمثل بعدم الحديث إلا عنها، ما يحتم وقوع الجميع في حبها، ويصير كل رؤاد صالونها عبيداً لجمالها: «وكانوا آن شكلوا شيئاً فشيئاً ما يشبه كنيسة صغيرة كانت هي عذراؤها..». عبر تلك الأجواء الغارقة بالأبهة الفرنسية والأحاديث حول الموسيقى والفن والأدب، تقع في عالم الشاب أندريه ماريول صفة الحضور إلى صالون ميشيلا الكبير. وهناك يحدث شغف غرامي عنيف بينهما. فالشاب الذي اتخذ من عزلته عالماً، يُقاوم حضور المرأة على النقيض من كل ضحاياها، ولعل ذاك ما دفعها لجعله فريستها الأثيرة، إلا أنه بعد ثلاثة أشهر من المقاومة، تحتجزه بأفضل ما لديها من لطفٍ ورقّة، وينتهي به الأمر للاستسلام، بينما تحيا ميشيلا حالة من الضجر المرح من دون أن تشعر بسعادتها بما تفعله.

يعرض الكاتب هنا نموذجاً لامرأةٍ عاشت منزوعة الإرادة، وانتهى بها الأمر لخلق تسلياتٍ تُنسيها الأمها. غير أن رغبتها في النظر إلى ذاتها بعين الرضا وإيمانها بقدراتها تدفعها لتمنح أندريه ما لم تمنحه لأي من معجبيها. تقع العلاقة بينهما؛ يحركها ضجر امرأة صاغتها التناقضات، وتغذيها لهفة شاب وليه. ولعل غاية الكاتب تكمن في رصد التحول على شخصية المرأة في تلك الفترة، كأنه يهتف عبر خطابه المضمر في الرواية: وداعاً لتلك الرقة والشاعرية التي عاشها الأسلاف الغابرون. ندرك قلقه إزاء التحول الطارئ بانتهاج الروح العصرية وولادة جيلٍ جديدٍ من النساء الفرنسيات.

«لكنها وهي فريسة المخاوف الحذرة، وفي تردّدها وانغلاقها المعتم، عرفت دائماً كيف تحافظ على نفسها إلى أن يكون آخر العاشقين قد أصبح غير ذي تأثير عليها». من هنا تبدو ميشيلا امرأة تهوى التعبيرات الحساسة والتلميحات المبطنة، وهو ما يبرع فيه أندريه، ومع مرور الوقت، يتحكم حبها بحياته، ذلك أنه يشعر بوطأة الحبس الذي شيدته حوله كلما اقترب منها، وأدرك مكانةَ الهامشيّ من غير أن تمنحه سوى فضول خبا بعد انطفاء نشوة البدايات. ربما كانت الحياة الحافلة بالسرية هو ما جذب ميشيلا إلى أندريه، لكننا نكتشف لاحقاً، أنها لم تقع في حبه، ليس بقدر الرقة المتعاظمة لديه، ما يجعل العلاقة بينهما تأخذ شكل السيد والضحية، وهو ما يدفعه إلى الانعزال والرحيل في محاولة للخلاص من رهبة الحب في داخله.

في جانب آخر، تنغمس الرواية في عالم الأدب والفن، ولا تبتعد الأحاديث والتجمعات فيها عن السياسة لقاء تناول قصص الفضائح الاجتماعية. مع الوقت، نكتشف أنّ ميشيلا لا تلعب دور المرأة اللعوب، إنما هي امرأة امات العنف قلبها، في وقت انغمس أندريه في صراعه لتصيده عبر التهور والتهويمات الصبيانية. تقع هنا على حالة من تبادل الأدوار في ما يخص النماذج الروائية السابقة لتلك الحقبة، إذ تنحو المرأة إلى التعقل فيما يتلبّس الجنون والهوس حال العاشق الشاب، ونجده دوناً عن غيره من عشاقها، تأخذهُ الصور المسبقة للبهرجة بينما حضرت ميشيلا بتماسك وثبات غير معهودَين. أمر دفع الأجواء الخاتمية إلى حالة من اليتم والهجر، برحل على إثرها الشاب، ويهرب من الحب خوفاً من ثقل المعاناة، إلا أن الشفاء يأتيه في اللحظة الأخيرة في منفاه بعيداً عن باريس، ويتخذ من إليزابيث، الفتاة العابرة، زوجةً يتشافى بها من جرحه السابق. ما يحلق بالرواية إلى ذروة الإبداع في الأدب والتحليل النفسي، ويجعلها رواية عن القلب في صراعه الأبدي بين التهور والجنوح لقاء التعقل والثبات. «كان يخيل إليها في بعض الأوقات بأن قلوب جميع الناس لا بد لن لها أذرعاً حانية ومفتوحة، تجتذبُ، تحتضنُ، تعانقُ، بينما قلبها مقطوع الذراعين، فقلبها لم يملك سوى عينين».

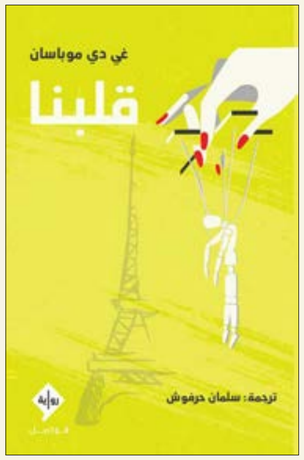


**كتب «قلبنا» (1890) وهو في أشد حالات المرض**

# خوان كارلوس أونيتّي: وحدةٌ في الحياة والموت

**ساري موسى**

يمكن أن يكون اسم خوان كارلوس أونيتّي (1909-1994) قد مرّ مع المهتمّين بالأدب اللاتيني، قبل أن تُترجم أيٌّ من رواياته إلى اللغة العربية، عن طريق الروائي البيروفي ماريو بارغاس يوسا، الذي كرّر في أكثر من مقابلة معه أن أونيتّي أحد كُتّابه المفضّلين، وأنه يحب قراءة رواياته. قول يوسا هذا هو الذي دفع داري «سرد» و«ممدوح عدوان» إلى تكليف علي إبراهيم أشقر بترجمة روايتين قصيرتين للكاتب الأوروغوياني، هما «البئر» و«الوداع» اللتين نلمس فيهما الأسلوب الخاص بالكاتب، المقتصد في الوصف الخارجي، المركّز على الأحاسيس الداخلية، والبعيد عن الواقعية السحرية التي كانت قد بدأت بالازدهار في حينه.

يهيم راوي «البئر» (1939) في الرؤى والخيالات، خصوصاً في الليالي الطويلة قبيل نومه، فهو يلجأ إلى الخروج الذهني من العالم لتعديل خيبات الفترة الأخيرة من حياته، إلى أن تنغلّب هذه الرؤى على الواقع وتقوده، فُطيحةً بما كان مستقرّاً فيه، كزواج الراوي من حبّ حياته، التي يُحيطها بغيرة كبيرة تصل إلى حدّ الشكّ وعدم الثقة، وعمله كصحافي، وأصدقائه الذين يبتعدون عنه واحداً بعد الآخر، من دون أن يُعير هذه الخسارات أي أهمية. إذ يتعامل مع كل شيء بلا مبالاة كأنّه لا يعنيه، وهو ما يُعبّر عنه بالقول: «هي العادة المُحالة دائماً في أن نولي الأشخاص أهمية تفوق الأهمية التي نوليها للمشاعر، أعني أن نولي الآلة أهمية تفوق الأهمية التي نوليها للموسيقى».

يلجأ الراوي إلى الكتابة وهو على أعتاب عامه الأربعين، في محاولة لفهم نفسه وترتيب حياته، كما بسبب الوحدة التامة التي يعانيها، والتي يردّها إلى عدم وجود من يفهمه، مهما بلغ مستوى خبراته الحياتية، كالعاهرة إستير التي يعاشرها، أو معارفه وعلومه النظرية، كصديقه الشاعر كوردس، أو قُربه الوجداني والمكاني منه، كرفيق سكنه لاثرو، الشيوعي ذي الأصول الأوروبية الشرقية، الذي ينتقد من خلاله الجموع الشعبية المتحمّسة للنضال، من دون أن تلاحظ الاستغلال الذي تتعرّض له من قبل «النخبة» و«المفكّرين»، الذين يعيشون في مستوى أعلى من مستوى الجموع التي يعظونها. كما أنّه ينتقد الفاشية التي كانت تسوق العالم نحو الدمار.

يمكن أن نفهم طريقة الراوي هذه في تسيير حياته، واختيار أونيتّي الكتابيّ الذي يقدّم لنا فيه روايةً سرابيةً من دون أحداث، أو بالأحرى بأحداث قليلة يذكرها في سياق نصّه بشكل عَرَضي، كواقعة طلّاقه من المرأة التي عشقها وزواجها من رجل آخر. أمر يُكسب نظرته إلى النساء وآراءه فيهن قسوة تصل حد معاداتهن. يمكن أن نفهم ذلك إذا بالانتباه إلى الزمن الذي كُتبت فيه الرواية، فهي مكتوبة عشية الحرب العالمية الثانية، بينما كانت الاستعدادات العسكرية نشطة، وقطع الجيوش تُنقل من مكان إلى آخر في أنحاء القارة الأوروبية، والمناخ العالمي قلق ومشحون.

تختلف الأجواء وتتعدد الشخصيات في رواية «الوداع» (1954)، فهناك حدث مركزي يتمثّل في وصول رجل طويل القامة بارز العظام، وعليل على نحو واضح، إلى إحدى البلدات الريفية التي تحوي مصحّاً لعلاج المصابين بمرض السل. النقطة الأكثر أهمية في هذه الرواية هي اختيار أونيتّي للراوي، الذي يجعله أحد المتعافين من المرض، يكمل حياته منذ اثني عشر عاماً بثلاثة أرباع رئة واحدة، ويعيش في البلدة بعدما افتتح حانوتاً فيها، ما يُكسبه شيئاً من صفات الراوي العليم بحُكم خبرته وتجربته مع السل. إذ يلجأ إليه الممرّض نفسه ليسأله عن تقييمه لحالة كل وافد جديد وتقدير ما تبقّى له من عمر. كما أنّه الراوي المتكلّم الذي يسرد لنا القصة كلها، معزّزاً إياها بما يخبره به كلٌّ من الممرّض، بعد إنهاء جولاته اليومية لإعطاء الحُقَن للمرضى، وكذلك إحدى خادمات الفندق القديمات، المقلّبة بـ«الملكة»، التي تنقل ما تسمعه من خلف أبواب الغرف.

يأخذ المريض الجديد، الذي نعرف أنّه كان لاعب كرة سلة، مسافةً من الجميع، بمن فيهم الطبيب المعالج، إذ يرفض دخول المصحّ والبدء بتلقّي العلاج، ويستأجر بيتاً صغيراً في الجبل مبتعداً عن بقية النزلاء، حتى إنّه يستقل عوض المرأة الواحدة اثنتين، واحدة في الفندق والأخرى في البيت المستأجر، ويسرف في الشرب وعيش ما تبقّى من حياته مُعانداً المرض، كأنّه بذلك يُلغيه، كما يُلغي وجود من يضطر للجلوس معهم بإشاحة النظر عنهم، ما يؤدي إلى تزايد الحنق الذي يشعرون به هؤلاء تجاهه يوماً بعد يوم.

ينشب بين المرأتين نوع من الصراع على الرجل، على الرغم من أنّه «لم يعد رجلاً، وإنما هو تجربة»، لتنتصر إحداهما في النهاية، وهي تلك التي يحتفظ الكاتب بتفصيل يخصّها لا يكشفه إلا في آخر الرواية، ليتّضح بكشفه خطأ تصور أساسي تشكّل لدينا بفعل تسلسل الأحداث، في مفاجأة صغيرة لا تؤثّر في الرواية بشكل جوهري. لكن ما ليس مفاجئاً هي النهاية التي اختارها الرياضي السابق لنفسه، حيث أبت كبرياؤه وماضي أمجاده وبطولاته أن يقبع منتظراً، عائشاً في حمية قاسية وسجيناً بين مجموعة مرضى يُحتضرون، فقرر الذهاب راكضاً إلى ما راه مقبلاً نحوه.

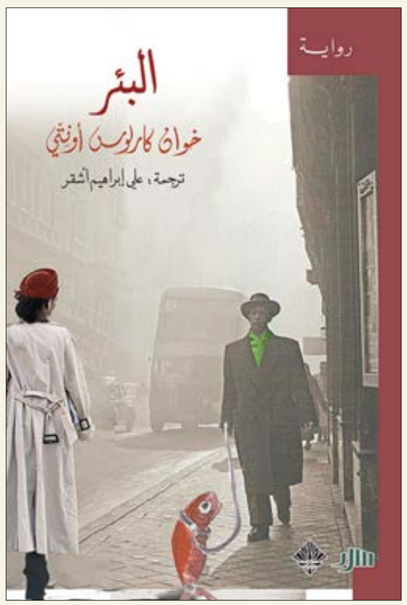


**مقتصد في الوصف الخارجي وبعيد عن الواقعية السحرية**

## لمحات

**إيزابيل الليندي**

تستكشف رواية «نساء روحي» الصادرة بترجمتها العربية حديثاً عن «دار الآداب» (ترجمة مارك جمال) قصة حياة إيزابيل الليندي وتجاربها ككاتبة وناشطة نسوية. تروي الليندي سيرتها الشخصية وتُسلّط الضوء على رحلتها كامرأة وكيف تأثرت بالمجتمع الذكوري والبيئة الثقافية التي نشأت فيها. تتحدث الكاتبة التشيلية المعروفة بقيمها النسويّة وتعزيزها لحقوق المرأة والمساواة الجندرية، وتعرض تفاصيل عن حياتها بأسلوب صادق وفكاهي، كما تتناول العديد من المواضيع مثل الحب والعلاقات والجنسانيّة ودور المرأة في المجتمع.

**ليلى العبيدي**

تهتم الباحثة التونسية ليلى العبيدي في كتابها «القصّ والمقدّس في التّراث العربيّ الإسلاميّ» (دار الساقي) بتقديم نظرة جديدة وشاملة عن علاقة القصص والمرويات بالمعتقدات الدينيّة، وتسعى إلى تسليط الضوء على التفاعلات الثقافيّة والاجتماعيّة التي تشكّلت حولهما على مر العصور. ينهل الكتاب من العلوم المختلفة كعلم الأنثروبولوجيا الذي يدرس الثقافة البشرية، وعلم الاجتماع الذي يساعدنا على فهم كيفية انتقال القصص من جيل إلى آخر وتأثيرها على المجتمعات والمجموعات المختلفة.

**جان فرانسوا دورتييه**

في كتابه «من سقراط إلى فوكو» (صفحة سبعة. ترجمة محمد أحمد طجو). يستغل عالم الاجتماع الفرنسي جان فرانسوا دورتييه مواهبه الفكرية وروحه النقدية لإعادة اكتشاف 15 عملاقاً من فلاسفة الغرب. ويطرح سؤالاً بسيطاً وجوهرياً: هل تجعلنا الفلسفة أكثر ذكاءً؟ يستفسر دورتييه عن فائدة الفلسفة وقدرتها على تحسين الحياة وتطوير الفكر، وما إذا كانت حقاً تمتلك وصولاً إلى المعرفة والحقائق السامية كما اعتقد بلاتون وسبينوزا وهيغل، أم هي مجرد طريقة لتوجيه العقل بشكل صحيح (ديكارت)، ولتوضيح الأفكار (ويتغنشتاين)، أو لخلق علم جديد للروح (هوسرل).

**هالة نهرا**

أطلقت الناقدة الموسيقية والشاعرة اللبنانية هالة نهرا كتاباً جديداً بعنوان «الموسيقى في لبنان بين العام 2000 والعام 2020» (دار فواصل) تتحدث فيه عن التطورات التي حدثت في الموسيقى والأغنية اللبنانية في مطلع الألفية الثالثة. تُقدّم نماذج متنوّعة ومتشعّبة من الأعمال الموسيقية التي ظهرت خلال الفترة الممتدة بين عامَي 2000 و2020، وتركّز على السمات الوازنة والنتاجات البارزة على الساحة الفنيّة. يُبرز الكتاب التراث الموسيقي اللبنانيّ الذي يتنوع بين الموسيقى التقليدية والمعاصرة والكلاسيكية، ويشمل التأليف الموسيقي الحر المستوحى من الروافد العالمية. تتناول الناقدة أيضاً الغناء الملتزم والأبعاد السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والإنسانيّة المتعلّقة به، وتربط بين الموسيقيين وأعمالهم.

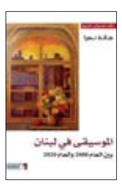

**محمد مثقال الخضور**

«كم كنتُ مشغولاً بإقناع الزهور بأنني سأكون أجملَ عاشقٍ/ لو كانَ ماءُ المزهريةِ صالحاً للشرب/ أو لو كان شوك زهورها مازال يذكرُ أنني عمّدتُهُ بدماءِ كفّي المتعبّدةِ». يحتوي ديوان الشاعر الأردني محمد مثقال الخضور «أنا متخمٌ بالامكان» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) على ثلاثين قصيدة تفعيلة. يُعدّ هذا الديوان الثالث للشاعر، والسمة المشتركة بين الدواوين الثلاثة هي التأمل الفلسفي للبحث عن الحقيقة، والتوصل إلى فهم أعمق للعالم ولذاتنا كبشر، وإعادة تعريف واكتشاف الأشياء المحيطة بنا، ومحاولة قراءة انعكاسات الوجود وأسراره على الذات الإنسانية بشكل عام. يتناول الديوان القضايا الكونية والزمانية والمكانية، ويتجاوز حدود الذات والجغرافيا والانتماءات الضيقة، مع التركيز على العاناة والقلق والاغتراب التي يواجهها الإنسان المعاصر مهما كانت جنسيته وديانته.

**عبد العزيز الراشدي**

يأخذنا الكاتب المغربي عبد العزيز الراشدي في «جراح المدن: من درعة إلى شيكاغو» (منشورات المتوسط) في رحلة أدبيّة شيّقة تنطلق من قرية «الدرعة» في المغرب وتمتد إلى مدن مثل شيكاغو في الولايات المتحدة وبراغ في تشيكيا وبروكسل في بلجيكا، وتعود مرة أخرى إلى المغرب قبل أن تنطلق من جديد إلى القاهرة وغيرها من المدن والعواصم. يتميز الكتاب بالتنقل المتوازي بين أمكنة وثقافات عدة؛ فالكاتب يكتب عن الثقافة والحياة في المدن النابضة بالنشاط والحركة مثل شيكاغو ولوكسمبورغ. وفي الوقت نفسه يستكشف الثقافة الهادئة والحكيمة للصحراء المترامية الأطراف في بلده المغرب.

أوراق

# إعادة نقاش كسرتَي فخّار كامد اللوز

زكريا محمد *

في عام 1968 عثر في كامد اللوز، في البقاع الغربي في لبنان، على كسرتَي فخار عليهما نقشان، يعودان إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد لاحظ الجميع أن هناك شبهاً بين حروف النقشين وأبجديات الجزيرة، وعلى الأخص جنوب الجزيرة العربية. لم يبادر أحد إلى القول إنهما نقشان عربيان. ظل الاتجاه العام يحسبهما نقشين فينيقيين مع تأثيرات محتملة من الجزيرة العربية. وهكذا كانت وجهة نظر مانغفيلد ناشر النقشين، الذي وصف أبجدية النقشين بأنها كنعانية مبكرة أو بدائية: «احتوت [هذه] الأبجدية البدائية الكنعانية على حروف لم تكن موجودة في الأبجدية الكنعانية اللاحقة... وهذا ما يثبته حرف ثاء الذي جرى توثيقه هنا للمرة الأولى». يضيف: «وربما حدث التطور عن طريق جلب أحد أنظمة الكتابة الكنعانية القديمة إلى وسط الجزيرة العربية، حيث جرى الحفاظ عليه وتطويره، في حين مرّ النص الكنعاني الفعلي بتطور مختلف عن الخارج» (1).

إذاً، فوجود الثاء لا يعني أننا مع كتابة غير فينيقية - كنعانية، فقد تكون كتابة كنعانية هاجرت إلى الجزيرة العربية، فتأثرت وتطورت ثم عادت إلى البقاع مختلفة عن الكنعانية التي لم تهاجر. وكما نرى، فهذا سيناريو معقّد وغريب، وخيالي في الواقع.

وقد ظل الأمر هكذا حتى اقترح ماندنهول بوضوح أنّ «الكسرة 2 من كامد اللوز عربية» (2). فشنّ عليه الثلاثي: رندسبيرغ، روبين، وهيو هنرغارد هجوماً عنيفاً مستخدمين محاولته غير المقنعة لفك لغز «مقطعية جبيل» للتشكيك في فرضيته وقراءته: «تصريح مثل أن الكسرة 2 من كامد اللوز عربية، ليس له تبرير... فالشقف العشر التي عثر عليها في كامد اللوز مكتوبة بأبجدية... مع بعض العلامات التي تشبه نظائر لها في العربية الجنوبية، لكن هذا لا يعني أن لغة هذه النقوش عربية» (3).

ويمكن فهم سبب هذا الهجوم. فوجود أبجدية عربية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، يطيح بالفرضيات السائدة حول الأبجدية وأصلها وتاريخها. والفرضية السائدة أن الأبجدية الفينيقية نشأت في القرن العاشر قبل الميلاد، وأن الأبجديات العربية الجنوبية والشمالية اشتقت منها. ووجود أبجدية عربية في القرن الرابع عشر يطيح بشكل مدوّ بكل هذا. غير أن الهجمات لم تدمر فكرة ماندنهول. فقد أتى بعد ذلك مارتن برنال ورأى أن الكتابة عربية: «لقى جديدة لنقوش مبكرة بخط من شمال الجزيرة العربية، وخاصة من كامد اللوز، أعادت إحياء فرضية برياتوريوس Praetorius في بداية القرن [العشرين] القائلة بأن ما يسمى بـ«الحروف الجديدة» في الأبجدية اليونانية مأخوذة من حروف موجودة في الثمودية والصفائية» (4).

على أي حال، قرأ مندنهول الكسرة 2 من اليسار إلى اليمين هكذا: لمثري. بالتالي، فنحن مع الاسم مثري تسبقه لام الملكية. لكن الثلاثي المذكور رأى أنّ هذه الكلمة لا يمكن اعتبارها عربية بأي شكل. ولا أعرف لماذا. فالاسم «مثري» يمكن بسهولة أن يكون عربياً جداً، بغض النظر عن صحة قراءة ماندنهول أو عدم صحتها.

أما بنجامين ساس، فلم يتوان هو أيضاً عن الهجوم على ماندنهول، واصلاً حدّ اعتبار أنّ العلامات على الكسرتين ربما لا تكون حروفاً أصلاً: «نسبة هذه العلامات إلى أحد خطوط جنوب العربية، ناهيك بنسبتها إلى الثمودية، هو مجرد تخمين. وربما أن هذه العلامات ليست علامات كتابية على الإطلاق» (5). وكما نرى فهناك تشكيك في التشابه الواضح بين عدد من حروف النقشين وحروف جنوب الجزيرة العربية. أكثر من ذلك، هناك تشكيك بأن العلامات حروف. ذلك أن ربط نقشي الكسرتين بالجزيرة العربية أمر متفجر، وله علاقة بأصل الأبجديات الفينيقية، والعربية شمالاً وجنوباً، إضافة إلى الأبجدية اليونانية.

على أي حال، يمكن للمرء أن يتفق مع قراءة ماندنهول، باستثناء قراءته لحرف الراء. فقراءته لهذا الحرف على أنه راء، وهي راء فينيقية في هذه الحال، يجعلنا مع أبجدية خليط: عربية - فينيقية. وأنا لا أرى دلائل على هذا في نقشَي الكسرتين. بذا يجب البحث عن قراءة أخرى للحرف الرابع. لكن قبل أن أقدم اقتراحاً في هذا الخصوص، عليّ أن أقول إن موقع هذا الحرف غريب حقاً. فالأحرف الأربعة الأخرى تهبط نازلةً على خط مستقيم، في حين أن هذا الحرف يخرج عن الصف وينتأ إلى اليمين. فلماذا يأخذ هذا الموقع الغريب؟

الحرف الرابع يترك الصفا وينتا يميناً

هناك احتمالات عدة في رأيي لتفسير خروج هذا الحرف عن الصف:

الأول: أنّ الكاتب نسي أن يكتب هذا الحرف، وحين أدرك ذلك لم يكن بإمكانه وضعه في الصف، لهذا اضطر إلى وضعه في مكانه هذا، لكي يدرك بين الحرفين قربه. لذا، يجب قراءته بعد الحرف ذي الحلقتين الذي يقرأ «ثاء» عادة.

الثاني: أنّ هذا الحرف هو الحرف الأخير في الكلمة، لكنّ الكاتب لم يحسب المساحة المتاحة جيداً عند الكتابة، فاكتشف أنه لم يعد هناك مكان كاف ومناسب لكتابة هذا الحرف. فكتابته في المساحة المتبقية ستجعل الحرف يكتب فوق الخطوط في أسفل الكسرة، كما يظهر حين وضعنا الحرف في مكانه المفترض في الصورة أدناه. وهذا سيشوّش الحرف ويجعله غير واضح. وهذا الاحتمال يفرض أن تكون الخطوط قد خطت قبل كتابة النقش.

إلى اليسار: موضع الحرف لو كان في نهاية الكلمة

الثالث: أنّ من كتب الاسم على الجرة سمعه ياءً في نهايته، فكتب الحرف الأخير ياء، لكنه اكتشف لاحقاً أنّ الاسم ينتهي بالدال وليس بالياء، فعاد وكتب الدال في مكانها الغريب. لكنه لم يمحُ الياء حتى لا يظهر المحو كتلف في الجرة. وميزة هذا الاحتمال أنه يؤدي إلى تساوي عدد الحروف في نقشَي الكسرتين. وهذا أمر له أهمية كبيرة كما سنرى لاحقاً.

أما مانغفيلد، فقد افترض أن الكسرة تحوي ثلاثة حروف فقط. أي أنه أخرج العلامتين العليا والسفلى واعتبرهما غير حروفيتين. كما أنه قرأ من اليمين إلى اليسار لا من اليسار إلى اليمين كما فعل ماندنهول. عليه، فقد أخرج النقش عن كونه نقشاً في الواقع. وقد قرأ الحروف الثلاثة المتبقية هكذا: بثم، أو رثم، أو دثم. أي أنه أعطانا احتمالات ثلاثة للحرف الرابع المبتعد الناتئ، والذي هو لغز النقش. وهو بالفعل يشبه بشكل ما حرف الراء الفينيقي. لكنه يشبه أيضاً بعض طرز الباء والدال. وأنا أميل إلى أنه حرف الدال. فهو قريب من حروف الدال في السامية الشمالية والجنوبية معاً. كما أعتقد أنه على علاقة بالعلامة 29 من علامات مقطعية جبيل التي كنت قد قرأتها على أنها دال. بالتالي، فالنقش يجب أن يقرأ هكذا: لـ«مثدي»، أو لـ«مثد»، إن كانت الياء خطأ جرى التخلي عنه ولم يتم محوه. والجذر «مثد» يكاد يكون جذراً ميتاً، أي ساقطاً من الاستعمال، في القواميس العربية. وما تبقى منه يعني الرقابة على العدو: «مثد: مثد بين الحجارة يمثد: استتر بها ونظر بعينه من خلالها إلى العدو يربأ للقوم على هذه الحال... أبو عمرو: الماثد الديدبان وهو اللابد والمختبئ والشيفة والربيئة» (لسان العرب). وقد ورد الاسم «مثد» لكن ورود غير مؤكد. إذ ورد «في موارد الظمآن»: «مالك بن مثد عن أبيه، قال الحافظ في «التهذيب»: مالك بن مرثد بن عبد الله الزماني» (6).

### الكسرة 1 تكرر الكسرة 2

بدا نقش الكسرة 1 للباحثين لغزاً مقارنة بنقش الكسرة 2. فهو يبدأ من اليسار بما يشبه أربعة خطوط متوازية أو شبه متوازية، الأول منها أطول بكثير من الأخرى. لهذا تجنّب الجميع محاولة قراءته.

أما فرضيتي المركزية، فهي أن نقش الكسرة 1 يكرر نقش الكسرة 2. أي أنه يكرر الاسم ذاته مع لام الملكية التي تسبقه، مع أنّ أشكال بعض الحروف مختلفة بين الكسرتين. وهذا الاختلاف نابع، وبناءً على اقتراحي، من أن النص نفسه كتب بأبجديتين مختلفتين من الجزيرة العربية: واحدة أقرب إلى المسند الجنوبي، أو أنها المسند الجنوبي ذاته، وأخرى تمثل المسند الشمالي، أي أبجديات شمال الجزيرة العربية. وقرب الكسرة 2 من المسند الجنوبي، أمر واضح لدى الجميع تقريباً. فإذا استثنينا حرف الدال الخارج عن الصف، فإن جميع الحروف ذات طابع جنوبي ومكتوبة بخطوط هندسية واثقة مستقيمة مثلما حال كتابة النصب الرسمية في المسند الجنوبي. أما الطابع العام لنقش الكسرة 1 فهو شمالي. فخطوطه ليست هندسية، وهو أقرب إلى مخربشات (الغرافيتي) الشمالية.

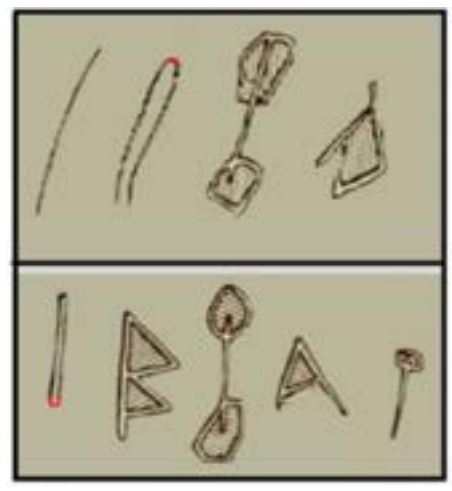

نقش الكسرة 1 في الأعلى، ونقش الكسرة 2 في الأسفل

بذا فقراءة الكسرة 2 تعني عملياً قراءة الكسرتين معاً. وإن صحّ هذا، فهو يدعم احتمال أن الحرف الخامس «الياء» في الكسرة 2 حرف زائد نجم عن خطأ. لكن إن لم يكن هذا الحرف زائداً، فهو يشير إلى أن أبجدية الكسرة 2 تكتب حرف العلة النهائي، في حين أن الكسرة 1 تضمره. ولهذا رأينا أن الياء حذفت في الكسرة 1.

إن صح هذا، فهو يعني أنّ كاتب النقشين كان على معرفة بخط المسند الجنوبي الهندسي، وبالخط الشمالي ذي الطابع الغرافيتي. هذا إذا كان الكاتب واحداً، ولم نكن مع كاتبين مختلفين. فوق ذلك، فإن وجود الاسم على الكسرتين يعني أنهما من جرة واحدة، تخص بما فيها، الشخص ذاته في غالب الظن.

بالتالي، يمكن افتراض أنّ نوعي المسند كانا موجودين منذ القرن الرابع عشر ق. م. أي عملياً قبل أربعة أو خمسة قرون من التوقيت الشائع. وإن كان الخطان منبثقين من أصل واحد بالفعل، فإن هذا الخط يعود إلى ما قبل القرن 14 ق. م. أي قل إلى فترة ما بين القرن 14 والقرن 18 ق. م. مثلاً.

على أي حال، فالكسرة 1 في رأينا مكونة من أربع علامات لا خمس. أربع منها تمثل حروفاً، أما الخامسة، وهي الأولى من اليسار فليست حرفاً. هي أطول من أن تكون حرفاً. وهذا الطول الزائد عن حدّه يجعلها خطاً مثل الخطوط العرضية في أسفل الكسرة 2.

أما الحروف الأربعة فهي كما يأتي:

الأول: الذي يمثل خطأً شبه مستقيم، هو حرف اللام. والفارق بينه وبين حرف اللام في الكسرة 2 أنّه مستقيم تماماً.

الثاني: وهو حرف الميم. لكنها الميم الشمالية لا الجنوبية الهندسية المنتظمة.

حرف الميم في الكسرة 1 وقربه نماذج من الميم الشمالية، حسب رسم ماكدونالد

يجب ملاحظة أن الحرف مكسور قليلاً من أعلى. لذا فأنا أفترض أنه كان مقفلاً في الأصل.

يمكن مقارنة الاختلافات بين الميم الجنوبية والميم الشمالية كما في الصورة أدناه.

الثالث: وهو الثاء. وهو مشابه للحرف ذاته في الكسرة 2 بوضوح.

الرابع: وهو قريب بشكل ما من الحرف الرابع في الكسرة 2، لكنه لا يشبهه تماماً. فهو مفتوح وليس مغلقاً مثل حرف الكسرة 2. مع ذلك، فأنا اقترح أنه حرف الدال هنا أيضاً. فرغم اختلافه عن دال الكسرة 2، فإنهما على علاقة قوية، ومنبثقان من أصل واحد في ما يبدو.

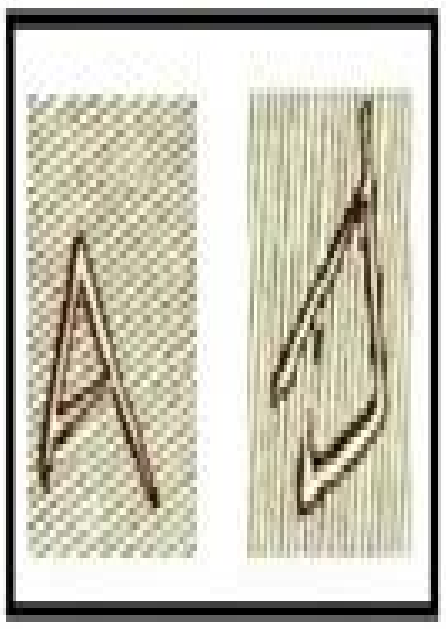

يمكن رد الاثنتين معاً في اعتقادي إلى العلامة 29 من مقطعية جبيل.

يمكن رد الاثنتين معاً في اعتقادي إلى العلامة 29 من مقطعية جبيل.

إذا صح ما نقوله عموماً، فإننا نحصل للمرة الأولى في التاريخ على نقشين من الجزيرة العربية، يكرران الجملة ذاتها، ويمثلان أبجديتين جنوبية وشمالية. وهذا يعني أنهما يضعان لنا تاريخاً ما لتوقيت انفصال الأبجديتين إن كانتا من أصل واحد. والأهم أنهما يطيحان بكل الفرضيات التي تعتقد أن خطوط جنوب الجزيرة العربية وشمالها مشتقة من الخط الفينيقي، ويطرحان فرضية معاكسة تماماً، أي أن خطوط الجزيرة العربية قد تكون هي السابقة، وهي التي انبثقت منها الخطوط الأخرى.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 3 Juin 2023 no67
السبت 3 حزيران 2023 العدد 67

# القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

# كل خطف يترك أثراً

[4]

(هينم الموسوي)

مهرجان البدع القانونية لملف حاكم مصرف لبنان
2

دولة الـ«حاكم»
3

«الفورنزكس» بين الخرافة والحقيقة
7

غزة محاصرة بالكامل منذ 16 سنة
8-6

متابعة

# مهرجان البدع القانونية لملف حاكم مصرف لبنان

من المؤكد ان من الخطأ حصر مشكلات اللبنانيين بشخص واحد يشغل منصب حاكمية مصرف لبنان. كما ان من الخطأ إيهامهم بان اموالهم المودعة في المصارف ستستعاد فور انتهاء هذا الملف. وكان قوانين الموظفين والنقد والتسليف واستعادة الاموال المتأتية من جرائم الفساد اصبحت مادة لسجالات إعلامية ووجهات نظر. وفي ظل احتدام الخلاف بين المطالبين بمحاكمة الحاكم وعزله وبين الرافضين لذلك، تكمن الحقيقة والمشكلة في مكان آخر، هو غياب مبدأ الثواب والعقاب المترافق مع تضييع الجماهير

(هروات بو حيدر)

**صادف علوية**

في متابعة متجرّدة لما يجري حول ملف حاكم المصرف المركزي رياض سلامة، يتبيّن أن الإعلام، بشقّيه المناوئة للحاكم أو المحابية له، هو اللاعب الأول. فيما القانون بعيد كل البعد عمّا يجري وعن الطلبات الغربية التي يقف لبنان أمامها متفرجاً، أو مراقباً عن بُعد. فيما لا تزال «الدولة» تعتبر الحاكم بريئاً وغير محكوم بجنايّة أو جنحة شائنة، وهو الواقع القانوني رغم كل ما يجري. ولكن، كالعادة، تأخذ الأمور في لبنان منحى مختلفاً، وربما تختصر مقولة: «مَنْ أبْصَرَ فَهِمْ، وَمَنْ فَهِمْ عَلِمْ» الأمر كله.

**لن يستردّ اي فرش**

من المؤكد، قانوناً، أنه طالما لم يصدر القضاء اللبناني حكماً بعدّ فيه الحاكم مذنباً، فلن تُقبل أي دعوى أو طلب تدخّل من الدولة اللبنانية في دعوى تُرفع خارج لبنان. فأهم شروط طلب التدخل في الدعوى أن يكون الشخص المعنوي أو الطبيعي متضرراً. وإذا كانت الحكومة لا تجدّ نفسها متضررة من أداء الحاكم، كيف يستقيم القول إنها ستتدخل في الدعوى المرفوعة خارج لبنان، حيث لن تجني أي تعويضات من الخارج.

ولكن، هل سيسترد لبنان أياً من الأموال؟ الإجابة: لا، طالما أن الحكومة والأجهزة القضائية كافة، بما فيها هيئة مكافحة الفساد، لم تطبّق أحكام قانون «استعادة الأموال المتأتية من جرائم الفساد» الرقم 2021/214، الذي أقره مجلس النواب في جلسته المنعقدة في 29 آذار 2021، ونُشر في 15 نيسان 2021. وإذا لم تر الدولة في أي من أفعال الحاكم ضرراً، فلن يستحق لها بالتالي أي تعويضات. إذ نصّت المادة الرابعة من القانون المذكور على أن تُنشأ لدى الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد المنصوص عليها في القانون رقم 2020/175 «دائرة استعادة الأموال المتأتية من جرائم الفساد»، تتولى التنسيق مع الأجهزة القضائية والرقابية والأمنية كافة، ومع هيئة التحقيق المنصوص عليها في القانون رقم 2015/44 في ما خصّ الملاحقات والإخبارات والادعاءات المتعلقة بجرائم الفساد في الشق المتعلّق منها باسترداد الأموال المتأتية من جرائم الفساد، مع الإشارة إلى أنه لا توجد جهة رسمية وقضائية ترى أن هناك فساداً!

ففي حين تنصّ المادة الثانية من القانون على تطبيق أحكام هذا القانون استناداً إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المعتمدة في القرار رقم 4/58 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، والتي انضم إليها لبنان بموجب القانون رقم 2008/33، ولا سيّما المادة 51 من الاتفاقية المذكورة (استرداد الموجودات)، واتّساقاً مع قانون مكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب رقم 2015/44، وقانون مكافحة الفساد وإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد رقم 2020/175، والقانون رقم 2020/189 الذي عدّل قانون الإثراء غير المشروع رقم 1999/154. وقد عرّفت المادة الثالثة (من القانون 2021/214) مصطلح الجرائم بأنها: «جرائم الفساد المنصوص عليها في قانون مكافحة الفساد في القطاع العام وإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد رقم 2020/175، وجرائم تبييض الأموال بما فيها الناتجة من جرائم الفساد والمنصوص عليها في قانون مكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب رقم 2001/318 وتعديلاته، ولا سيّما القانون رقم 2015/44، وتشمل جريمة تبييض الأموال اكتساب الأموال أو حيازتها أو استخدامها، مع العلم وقت استلامها بأنها عائدات جرمية».

فاستعادة الأموال تشمل مجمل أعمال تتبّع الأموال والتجميد والحجز والمصادرة والاسترداد وما يقوم مقامها، والتي من شأنها أن تمكّن الدولة من تحديد واسترجاع جميع أنواع الأصول المادية أو غير المادية، المملوسة أو غير الملموسة، المنقولة أو غير المنقولة، كيفما حُصل عليها،

> **بعد أربع سنوات على بدء الأزمة هل علينا أن نصدق أن هناك من سيتخذ قراراً بشأن الحاكم؟**

والوثائق أو المستندات القانونية بأي شكل بما فيها الإلكترونية أو الرقمية، التي تثبت حق ملكية تلك الأصول أو حصة فيها. ويشمل ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، الموارد الاقتصادية والأصول المالية وجميع أنواع الممتلكات، سواء كانت موجودة في لبنان أو خارجه، تأتّت بشكل مباشر أو غير مباشر عن الجرائم، إضافة إلى ما يرتبط بتلك الأموال من حقوق وما ينتج منها أو بمناسبتها من مداخيل وأرباح بحسب الأحوال.

من جهة أخرى، استرداد الأموال هو العمل الأخير في سلسلة أعمال استعادة الأموال المتأتية من الجرائم، والموجودة خارج الولاية القضائية للدولة اللبنانية. ويعني ذلك قيام الدولة الأجنبية، التي هُرّبت الأموال إليها، بردّ تلك الأموال إلى لبنان، إمّا بواسطة حكم قضائي أو اتفاقية ثنائية أو متعددة الأطراف أو أي وسيلة أخرى متاحة قانوناً. إلا أن هذا الأمر غير موجود حالياً، لأن الدولة اللبنانية، من الناحية القانونية، لا تعتبر أن هناك أموالاً ناتجة من عائدات جرمية.

إذا كانت الحكومة تعدّ حاكم المصرف المركزي مقصراً في مهامه عبر تلكّئه، كأن يفترض عليها أن تُقيله أو أن تكفّ يده، فقانون «النقد والتسليف وإنشاء المصرف المركزي» ينصّ على هذا الأمر بشكل واضح. أما إذا لم يكن الحاكم متلكئاً، فلن يكون لبنان متضرراً من الوجهة القانونية. وإذا وجد القضاء اللبناني أن من واجبه اتهامه بجرم الإخلال الوظيفي، إذا كان الجرم حاصلاً، فيقتضي أن يُصدر قراراً قضائياً بتجريمه. عدا ذلك لا قيمة قانونية لكل ما يقال.

**قرار مجلس الوزراء: تداعيات عجيبة**

عقد مجلس الوزراء جلسة في 26 أيار 2023 لمناقشة موضوع تداعيات الملاحقات الجارية خارج لبنان بحق حاكم مصرف لبنان، على أدائه وأداء المصرف، وكيفية التعامل معها من منظور قانوني.

واطلع المجلس على الموضوع والمستند المذكور، وبعد المداولة قرر تكليف وزير المالية رفع تقرير دقيق يبيّن تداعيات هذه الملاحقات وانعكاسها على أداء مصرف لبنان، وتكليف وزير العدل تقديم الرأي القانوني المناسب حول كيفية التعامل مع هذه المسألة، لكن، كانت لوزارة العدل وجهة نظر أخرى. فقد عرض المدير العام لوزارة العدل أمام المجلس إفادة تشير إلى أنه قد دقّق في السير الذاتية للمحامين الثلاثة الذين تطوّعوا مجاناً لتمثيل لبنان في هذه الدعوى الخارجية، وتبيّن أن له ملاحظات عدة تتعلق بالعقد لجهة بناءاته، وبالأشخاص المطلوب التعاقد معهم، أبرزها، علامات استفهام حول عضوية المحامي Emmanuel DAOUD في الهيئة القانونية لمنظمة «Licra» التي يُشتبه بأنها تناصر الأفكار الصهيونية في العالم وفقاً للعديد من المقالات الصحافية المنشورة على مواقع الإنترنت. وأن أحد المحامين الذين اقترحوا التعاقد مع الدولة اللبنانية مجاناً، وتحديداً Antoine Ory، على صلة وثيقة بالمحامي William Bourdon مؤسس ووكيل منظمة «Sherpa» لأحد المدّعين في الدعوى الراهنة، ما عزّز الريبة في حيادية الخيارات المقترحة.

وأفاد المدير العام أن أي اقتراح لم يصدر عنه، وإن العقود وصلت إليه موقعة سلفاً، مع العلم بأن ذكر عبارة «بناءً على اقتراح المدير العام» ضمن بناءات العقود المُرسلة إلى مجلس الوزراء، في حال ورودها، يُشكّل تحريفاً للحقيقة. وأن الاستعمال لاستكمال الأصول القانونية لا يُعرّض مصالح الدولة للخطر التي يبقى لها التدخل في أي وقت طالما أن المحاكمة لا تزال جارية. إذ يجيز القانون الفرنسي التدخل في كل مراحل المحاكمة. وأكّد أن الغاية الأساسية التي سعى إليها كانت اتباع الأصول القانونية لاختيار أنسب المحامين للدفاع عن مصالح الدولة اللبنانية. وبالتالي قرر مجلس الوزراء تكليف وزير العدل تقديم أسماء جديدة لتمثيل لبنان.

**كفّ اليد او العزل او الإقالة**

عرّف القانون اللبناني عامة والقانون الإداري خاصة مبدأ كفّ يد الموظف المتهم بارتكاب جرم وظيفي يتصل بعمله، حتى إنه كان موضوع مادة دستورية تتكلم عن محاكمة أعلى منصب في السلطة التنفيذية، ألا وهو رئيس مجلس الوزراء، حين نصّ الدستور على وجوب كفّ يده بعد القرار الاتهامي من قبل المجلس النيابي وذلك قبل صدور قرار من المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء. إذ تنص المادة 72 من الدستور والمعدلة وفقاً للقانون الدستوري 18 تاريخ 1990/9/21 على وجوب أن يكفّ رئيس مجلس الوزراء أو الوزير عن العمل فور صدور قرار الاتهام بحقه.

كذلك نصّ كلّ من قانوني المختارين (المادة 21)، والبلديات (المادة 84) على كفّ اليد عند صدور قرار ظني بحق من يشغل أحد هذين المنصبين. كما تناول قانون نظام الموظفين، المرسوم الاشتراعي 1959/112، أحكاماً وحالات توقيف الموظف عن العمل.

كان بإمكان الحكومة، لو أرادت، اتخاذ هكذا قرار منذ بدء الأزمة، فهو ليس عزلاً ولا إقالة بل ما بينهما. والقول إن ذلك غير ممكن في ظل حكومة تصريف الأعمال، يناقضه قرار توقيف المدير العام لوزارة لصناعة عن العمل وإحالته إلى الهيئة العليا للتأديب - بغض النظر عن الملف - لكن القرار قد اتخذ. فلو عدّت الحكومة حاكم المصرف المركزي مخطئاً لأقدمت على توقيفه، ولكنها على ما يبدو تراه محقاً.

بعد مرور أربع سنوات على بدء الأزمة، هل علينا أن نصدق أن هناك من سيتخذ قراراً بشأن الحاكم؟ ما يجري ليس سوى فولكلور بصورة رديئة، لن يحصل أي جديد.

## جلسة طارئة.. الغيت

في 29 أيار 2023، أبلغ رئيس الحكومة وزير العدل أنه بصدد الدعوة إلى جلسة عاجلة وطارئة لمجلس الوزراء، على جدول أعمالها بند وحيد يتعلق بموضوع الاتفاق بالتراضي مع محامين فرنسيين لمعاونة رئيسة هيئة القضايا في الدعوى المقدّمة من الدولة الفرنسية أمام قاضية التحقيق الفرنسية في ملف آنا كوساكوفا ورفاقها، وهو يدعوه لحضورها للتباحث والنقاش مع الوزراء حول هذه المسألة، على أن يقرر مجلس الوزراء في ضوء هذه النقاشات ما يراه مناسباً في هذا الصدد، في اليوم التالي أصدر رئيس الحكومة بياناً أعلن فيه إلغاء الجلسة.

## 6,4 ملايين ليرة
## زيادة غلاء معيشة

**متابعةً للملف الذي نشرته «القوس» في 29 نيسان 2023، تعليقاً على الخطا الذي رافق مرسوم غلاء المعيشة تحت عنوان: «مرسوم الحدّ الادنى للأجور يخلق فجوة بين الرواتب»، نشير إلى ان مجلس الوزراء قرّر في جلسته المنعقدة في 2023/5/26 الموافقة على تعديل المرسوم رقم 11226، تاريخ 2023/4/18، المتعلق بتعيين الحدّ الادنى الرسمي للأجور المستخدمين والعمّال الخاضعين لقانون العمل ونسبة غلاء المعيشة، لجهة تعديل المادة الاولى على الشكل التالي: «تُعطى جميع المستخدمين والعمّال الخاضعين لقانون العمل زيادة غلاء معيشة بقيمة 6,400,000 ليرة لبنانية».**

**كما وافق المجلس على مشروع المرسوم ذات الصلة، وعلى إصداره وكالة عن رئيس الجمهورية.**

## المجالس البلدية: من التعليق إلى التمديد

**بعد اتخاذه القرار رقم 2023/4 القاضي بتعليق قانون تأجيل الانتخابات البلدية والاختيارية مؤقتاً لحين البتّ بالمراجعة،**

**قرّر المجلس الدستوري في 30 أيار 2023 ردّ الطعون المتعلقة بالقانون المذكور، ما يعني ان قانون تمديد ولاية البلديات والمخاتير بات ساري المفعول.**

**وقد اعلن رئيس المجلس الدستوري طنوس مشلب ان «المجلس قرر عدم إبطال قانون التمديد للمجالس البلدية والاختيارية وذلك حفاظاً على استمرارية عمل المرافق العامة، فالدستور وُجد من اجل المصلحة العامة».**

تحت القوس

# دولة الـ«حاكم»

**عمر نشابة**

رئيس الجمهورية اللبنانية الذي ينتظر اللبنانيون انتخابه هو «رئيس» الدولة و«رمز» وحدة الوطن، يسهر على احترام الدستور والمحافظة على استقلال لبنان ووحدته وسلامة أراضيه، و«يرأس» المجلس الأعلى للدفاع، وهو «القائد الأعلى للقوات المسلحة».. لكنه لا يحظى بلقب «حاكم» في لبنان.

رئيس مجلس الوزراء، هو «رئيس» الحكومة، يمثّلها ويتكلم باسمها، ويُعدّ «مسؤولاً» عن تنفيذ السياسة العامة التي يضعها مجلس الوزراء.. لكنه لا يحظى بلقب «حاكم».

رئيس مجلس النواب، يمثّل المجلس ويتكلم باسمه و«يرأس» الجلسات و«يحفظ الأمن» داخل المجلس وفي حرمه، و«يلفظ ويطبّق» العقوبات.. لكنه لا يحظى أيضاً بلقب «حاكم».

في لبنان شخص واحد يحمل قانونياً لقب «الحاكم»، هو حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، المدّعى عليه والمطلوب للشرطة الدولية بمذكّرة حمراء. فوحده الحاكم من يستطيع أن يبقى في مركزه ويحافظ على لقبه حتى لو انهار كل ما يتعلق بمسؤولياته القانونية.

إذ يبدو أن وظيفته تنحصر بأن يكون حاكماً يتمتّع بسلطة واسعة على إدارة مصرف لبنان، من دون أن يتحمّل مسؤولية انهيار قيمة الليرة واحتجاز أموال الناس وسقوط النظام المصرفي. كيف لا والحاكم هو الكل بالكل؟ فإذا رُفعت شكوى تبييض أموال، مثلاً، هو من يتولى قانوناً التحقيق فيها، ويمنحه قانون النقد والتسليف أوسع الصلاحيات للإدارة وتسيير الأعمال.

وكأن الصلاحيات التي ينص عليها القانون ليست كافية لتجعله «حاكماً»، حتى يضاف إليها وسائل إعلامية وإعلاميون يدافعون عنه ويشيدون بإنجازاته وكفاءاته في سعيهم لتبييض صورته، رغم تحوّله أخيراً إلى مطلوب للقضاء الأوروبي في قضايا جرمية وقعت في أوروبا وغيرها. علماً أنه يبدو أكثر المدافعين عن «الحاكم» مترددين في ذلك بشكل مباشر وعلني. ففي مقدّمات بعض نشرات الأخبار، مثلاً، دفاع مموّه عن سلامة وتحليلات غير واقعية وتلاعب بأخبار مجهولة المصدر تشدّد على براءته ونظافة كفّه.

(هيثم الموسوي)

لم يكن للحاكم مجال للإفلات من الملاحقة القضائية، حتى لو ساندته الإعلام ودافع عنه، لولا وقوف بعض الوزراء والنواب ورجال الدين خلفه عبر تبريرهم عدم إقالته خشية «انهيار الهيكل» على رؤوسهم.

أما معظم القضاة فيبدو أنهم لا -ولن- يجرؤوا على ملاحقته قضائياً بشكل جدّي. كيف لا والتشكيلات القضائية تُمرَّر على أساس المحاصصة الطائفية والسياسية؟

لم يعد خافياً على أحد أن في لبنان مجموعة من الوزراء والنواب والسياسيين ورجال الدين وأصحاب رأس المال يستميتون في الدفاع عن «الحاكم» لأنه، كما يبدو، المدير المالي للمنظومة الحاكمة منذ تسعينيات القرن الماضي. في الوقت نفسه، يطالب أخصام هؤلاء بمحاكمته، لكن من دون التمسّك جدّياً بهذا المطلب (بعضهم كان في موقع يتيح له إقالة الحاكم ولم يفعل).

وبعد تردّد القضاء اللبناني في مقاضاة سلامة، تُرك أخيراً الأمر للسلطتَين القضائيتَين الفرنسية والألمانية اللتين تسعيان بدورهما إلى حماية مصالح بلادهما. لكن كان لافتاً حماس بعض اللبنانيين الغاضبين في التعبير عن إعجابهم بالإجراءات القضائية الأجنبية واتّكالهم عليها، لا بل الشروع بالتهديد بها والتبشير بأنها ستعيد الحقّ إلى أصحابه. إذ يظن هؤلاء أن القضاءَين الفرنسي أو الألماني سيكونان أكثر حرصاً على مصالح لبنان من القضاء اللبناني. وفي هذا مشكلة لا تنحصر بضعف التمسّك بالسيادة الوطنية، بل تذهب أبعد من ذلك لتجسّد خللاً جسيماً في وضع مسار المعالجة الصحيح. فالاتّكال على الأجنبي، أو على أي قوة خارجية، لمعالجة التحدّيات الداخلية، يفتح المجال لتعاظم تلك التحدّيات بحيث تتيح بشكل أوسع تدخلات أشمل في شؤون لبنان الداخلية، خصوصاً بعد اكتشاف حقول الغاز والنفط في البحر.

لبنان يحكمه رياض سلامة، الذي لم يعد اسماً لحاكم مصرف لبنان، بل رمزاً للفساد ومدرسة تبدو ناجحة للإفلات من العقاب. وبالتالي، إن إقالته فوراً وإحالته إلى المحاكمة العلنية من دون إبطاء أو تلكؤ أو تردّد سيكون بداية الخروج من الأزمة.

المختبر الجنائي

# منع إفلات الخاطفين من العقاب
# كل خطف يترك أثراً

تبدو البيئة في لبنان حاضنة للانحراف والجريمة، في ظل التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية، والشلل القضائي ونقص الموارد الذي تعانيه وكالات إنفاذ القانون. تزداد مخاطر تصاعد معدلات الخطف مقابل فدية. وغالبًا ما يكون الاختطاف جريمة يصعب التعامل معها، طالما أن الجناة يسيطرون على الضحية، وبالتالي هم قادرون على ردع الإجراءات الأمنية والعسكرية ضدهم. لذلك، تُعدّ «المرونة» مفتاح التحقيق الناجح في جرائم الاختطاف، ومن المفترض أن يمتلك القائمون على التحقيق القدرة على وضع الخطط أو تعديلها في غضون لحظات بناءً على مقتضيات الموقف. يعتمد اختيار استراتيجية الإدارة المناسبة للاستجابة للاختطاف على تقييم الدافع ونوع الحادث والديناميكيات التي تنبع من هذه العوامل، من الضروري والأخلاقي للإجراء أن التي تُتّخذ لتحرير المخطوف، أن تكون، بقدر فعاليتها مراعية للمعايير المهنية والأخلاقية أثناء التحقيق والملاحقة، لمنع إفلات الخاطفين من العقاب

جنان الخطيب

في بيان للسفارة السعودية في بيروت عبر «تويتر»، قالت إنها تلقّت «بلاغاً من ذوي أحد المواطنين الذي فقد الاتصال به فجر يوم الأحد 8 ذو القعدة 1444 هجري، الموافق 28 مايو 2023». وأضافت إنها على تواصل مع السلطات الأمنية اللبنانية «على أعلى المستويات لكشف ملابسات اختفاء المواطن»،

### رسّام.. جنائي

يُعدّ الرسّام الجنائي مصدراً قيّماً للمعلومات للقائمين على التحقيق وللإجراءات القانونية في جرائم الخطف. إذ يستخدم هؤلاء الخبراء مواهبهم الفنّية في الرسم، أو النحت، أو الرسم الرقمي لإعادة بناء الوجه وتقديم رسومات للمشتبه فيهم والأشخاص المفقودين والتقدم العمري لديهم. وللتميّز في دوره، من المفترض أن يتمتع الرسّام الجنائي، إضافة إلى الموهبة الفنية، بدرجة من المعرفة القانونية ومهارات إجراء المقابلات، فيستخدم الفن المركّب لتصوير المشتبه فيه بناءً على مقابلات مع شهود حيث يطرح الخبير سلسلة من الأسئلة للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات، ثم يستخدم تلك المعلومات لإنشاء تمثيل مرئي للمشتبه فيه. فينشئ فناً مركباً من خلال التركيز على جوانب محدّدة من التشريح البشري واحداً تلو الآخر، على سبيل المثال، العيون والأنف والفم وما إلى ذلك. يُستخدم رسم التقدم العمري لتحديد الأفراد الذين فُقدوا قبل مدة طويلة، فتُحرَّر الصورة بطريقة تعكس التغييرات في المظهر مع مرور الوقت. كما يُستخدم تعديل الصورة لتصوير المشتبه فيهم الذين ربما تغيّرت ملامحهم منذ أن رأتهم الشرطة آخر مرة.

عصابات عائلية إجرامية (راجع «القوس»، 22 تشرين الأول 2022، «متى تتحول الأسرة إلى عصابة؟»). وازدياد العنف والانحراف وانتشار البطالة والتسرّب المدرسي (راجع «القوس»، 6 أيار 2023، «بيئة حاضنة للجريمة»).

### لكل جريمة أثر

يُعدّ المكان الذي بدأت فيه جريمة الخطف أحد الخيوط الرئيسية التي يمكن أن تساعد المحقّقين، وذلك لإمكانية احتوائه على العديد من الأدلة والمعلومات المهمة التي يمكن استخدامها في التحقيق، بدءاً من الأدلة المادية، كآثار إطارات السيارات المطبوعة على الأرض، والمتعلّقات الشخصية والحمض النووي وبصمات الأصابع، وأدلة الأثر الأخرى كالشعر والتربة وغيرها. ويليها تحليل البيانات من الأدلة الإلكترونية، مثل كاميرات المراقبة والصور المأخوذة من الموقع وتحديد إشارات وموقع الهاتف المحمول وتحليل سجل المكالمات لتحديد المشتبه فيهم وغيرها، بالإضافة إلى الاستجوابات وإفادات الشهود.

> يفضّل الجاني، في الاختطاف النفعي، بقاء الضحية على قيد الحياة، لأنه أمر ضروري لإمكانية حصوله على الفائدة المرجوّة

(أرشيف ـ مروان طحطح)

### كيفية التحقيق الجنائي في جرائم الخطف

تستخدم قوى إنفاذ القانون المعلومات التي قدّمها ذوو المفقود للنظر في جميع خطوات التحقيق المناسبة والضرورية في ظل الظروف، لمحاولة تحديد مكانه. وكنا قد تناولنا سابقاً في المختبر الجنائي مراحل التحقيق بشكل دقيق (راجع «القوس»، 15 تشرين الأول 2022، «خرج ولم يعد: خطف أم هروب أم..؟»).

وقد يشمل تسلسل التحقيق النموذجي ما يأتي:

● البحث في عنوان منزل الشخص المفقود للتأكد من عدم وجوده، ولتحديد ما إذا كانت هناك أي معلومات أو أدلة يمكن أن تساعد في العثور عليه.

● البحث في المنطقة التي شوهد فيها الشخص آخر مرة (إذا كان مختلفاً عن عنوان منزله).

● التواصل مع المستشفيات المحلية.

● التواصل مع مزوّدي خدمات الهاتف المحمول والمؤسسات المالية ومراقبة حسابات وسائل التواصل الاجتماعي.

● عمليات التحقق من الهاتف المحمول والأجهزة التي يستخدمها الشخص المفقود ومراجعة لقطات من كاميرات المراقبة.

● مقابلات مع العائلة والأصدقاء والمعارف والزملاء.

● واحياناً، تنسيق التغطية الإعلامية للتوعية أو المطالبة بالمعلومات.

### استراتيجية إدارة الحالة

يعُدّ تحديد دوافع الخاطف، الخطوة الأولى لاختيار الاستراتيجية المناسبة لإدارة الحالة، وتختلف أسباب انخراط الجاني في الاختطاف، فقد يكون الدافع:

● «نفعياً Instrumental»، أي من أجل تحقيق نتائج ملموسة، مثل الحصول على المال أو لإبرام صفقة تبادل إطلاق سراح أشخاص معيّنين.

● «تعبيرياً Expressive»، يعني أن اختطاف الشخص المخطوف هو غاية في حد ذاته، لإيذائه أو لترهيب أشخاص آخرين أو لإظهار القوة على الشخص المخطوف.

تأتي الخطوة الثانية لتحديد استراتيجية إدارة الحالة من خلال تقييم ديناميات الاختطاف واستخلاص درجة الخطر الذي يشكله الدافع للضحية المختطفة، في الاختطاف النفعي، يفضّل الجاني بقاء الضحية على قيد الحياة، لأنه أمر ضروري لإمكانية الحصول على الفائدة المرجوّة. كما تساعد عمليات الاختطاف النفعية على إجراء مفاوضات، لأن الخاطف يسعى إلى بعض الفوائد من السلطات مقابل العودة الآمنة للضحية.

من ناحية أخرى، تشكّل عمليات الاختطاف التعبيرية خطراً أكبر على الضحية، لأن إيذاء أو قتل الضحية قد يكون جزءاً من الغرض الأساسي المرجو من الاختطاف. أضف إلى ذلك، أن التفاوض ليس استراتيجية الإدارة المختارة للاختطاف التعبيري، لأن الخاطف لا يسعى إلى الحصول على نفوذ لكسب شيء من طرف ثالث، وهنا تتطلب عمليات الاختطاف هذه تدخلاً من قوى إنفاذ القانون.

### ضحايا الخطف

يمكن أن يُظهر المختطفون والرهائن الناجون ردود فعل مضطربة، بما في ذلك الإنكار والخوف من تكرار وقوع الحادثة، وضعف في الذاكرة والصدمة والقلق والشعور بالذنب والاكتئاب والغضب والشعور بالعجز، بحسب جمعية علم النفس الأميركية. كما يمكن أن تنسحب هذه الردود على تفاعلات الضحية مع مجتمعها، مثل تجنّب الأسرة والأصدقاء والأنشطة.

وفقاً لأبحاث عدة، يطوّر الناجون من الرهائن، غالباً، رابطة غير واعية مع خاطفيهم ويعانون من الحزن إذا تعرض خاطفوهم للأذى. قد يشعرون أيضاً بالذنب لتطوير هذه الرابطة، ويشار إليها عادة باسم «متلازمة ستوكهولم - Stockholm syndrome». كما قد يشعر الناجون من الرهائن بالذنب لبقائهم على قيد الحياة بينما توفي الآخرون. من المهم أن يدرك الناجون أن هذه ردود فعل بشرية معتادة.



المختبر الجنائي

إعداد جنان الخطيب

# تطوّر تقنيّات التحقيقات الجنائية العلمية
# «الفورنزكس» بين الخرافة والحقيقة

عزّزت البرامج والمسلسلات التلفزيونية مثل CSI وNCIS وغيرها معرفة المشاهدين بالعلوم الجنائية، لكنها منحت أيضاً رؤية مشوّهة لكيفية العثور على الأدلة الجنائية والتكنولوجيا المتاحة للخبراء الجنائيين. وأثّرت سلباً على تفسير الناس لنظام العدالة الجنائية. فتُصوّر تلك البرامج علماءً يعملون في المختبرات ويحلّون الجرائم بوقت قياسي، وبتقنية غير متوفرة بعد. نعرض في ما يلي كيفية عمل الخبراء الجنائيين الحقيقي مقارنة بعمل الخبراء كما يُصوّر على شاشة التلفزيون:

**المدة التي تستغرقها معالجة عيّنات الحمض النووي**

■ 33 ثانية تقريباً

■ من أسابيع قليلة إلى أشهر عدة

**نتائج علم السموم**

■ الخرافة
■ الحقيقة

■ بشكل فوري

■ تستغرق أشهر عدة

**عدد الاشخاص الذين يعالجون عيّنة الحمض النووي**

■ شخص واحد

■ 2 - 10 أشخاص

**مقدار المعلومات التي يمكنك الحصول عليها من قطعة واحدة من الادلة**

■ جزء صغير من الدليل هو مفتاح لحلّ القضية

■ غالباً ما تتعرّض الأدلة إلى عوامل ملوّثة تجعل التعامل معها أكثر صعوبة، وقد تصبح أحياناً غير صالحة للاستخدام

**الأدلة التي تُرفع من مسرح الجريمة**

■ كل مسرح جريمة ينتج عنه أطنان من الأدلة المادية الحاسمة

■ تتضمّن نسبة صغيرة من القضايا الجنائية أدلة بيولوجية يمكن أن تخضع لاختبار الحمض النووي

**بصمات الأصابع**

■ موجودة في كل مكان

■ يصعب الحصول على بصمات الاصابع في مسرح الجريمة

**المهام**

■ يجمع شخص واحد الأدلة ويحللها ويقوم بالاستجواب

■ تُقسّم المهام بين أشخاص عدة

**التوثيق**

■ لا داعي للأوراق المملة

■ ضروري لقبول القضية في المحكمة

**وصف العلاقة المحدّدة بين جزاين من الأدلة**

■ استخدام مصطلح «تطابق»

■ استخدام مصطلحات اقل تحديداً، للتأكيد بان اليقين المطلق غالباً ما يكون غير صحيح أو ممكن

**هل يقود الـ CSI حقاً سيارات «هامر»؟**

■ يقود محققو مسرح الجريمة سيارات «هامر»، ويكشفون على مسرح الجريمة، ويقابلون الشهود والمشتبه فيهم. كما يشاركون في المداهمات

■ لا يقوم موظفو مكتب الحوادث بالاعتقالات أو إجراء مقابلات مع المشتبه فيهم أو قيادة سيارات «هامر»

القضية المركزية

يفرض الاحتلال الإسرائيلي حصاراً خانقاً على قطاع غزة، يطاول جميع نواحي الحياة الإنسانية والقطاعات الحيوية داخله. هذا الحصار «الإسرائيلي» الذي شهدت بيروت مثيله قبل واحد وأربعين عاماً، يدخل عامه السادس عشر ضارباً عُرض الحائط بالقانون الدولي والمواثيق الإنسانية. إذ أدّى حصار غزة إلى تدهور حاد في مؤشرات القطاعات الصحية والاجتماعية والاقتصادية، في ظل مواصلة سلطات الاحتلال فرض قيود على حركة الأفراد والمعابر، وما يعقبها من تداعيات على صعيد الرعاية الصحية والعيش الكريم، مشكّلاً انتهاكاً مستمراً لحقوق الفلسطينيين عامّة وأهالي قطاع غزة خاصة

# 41 عاماً على حصار بيروت
# غزة محاصرة بالكامل منذ 16 سنة

ملاك سلوم

في مساحة جغرافية محدودة ومعزولة، لا تزيد على 360 كيلومتراً مربّعاً، في قطاع غزة، يُحاصر أكثر من مليوني فلسطيني. رغم أنها ليست المرة الأولى التي تعزل فيها «إسرائيل» غزة، إلا أنه منذ نحو 17 عاماً وعقب فوز حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بالانتخابات التشريعية عام 2006، أعلن العدو قطاع غزة «منطقة مُغلقة».

وفي عام 2007، شدّدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي حصارها البري والبحري والجوّي على القطاع، عبر سلسلة من الإجراءات العقابية الجماعية تتضمّن: منع إدخال المحروقات بمختلف أنواعها (بنزين وديزل وغاز)، ومنع دخول كثير من السلع كاللحوم والدواجن والبسكويت، وتقليص مساحة الصيد في بحر غزة، وكذلك إغلاق جميع المعابر الحدودية وتقييد حركة الأفراد.

### المعابر.. الفك باء الحصار

تسيطر سلطات الاحتلال الإسرائيلي على المعابر الحدودية مع قطاع غزة وتتحكم بحركة الأفراد والبضائع من القطاع وإليه. فمجرد اتخاذ قرار السفر عبر معبر بيت حانون «إيرز» المخصص لحركة الأفراد، يعني فصولاً لامتناهية من المعاناة، بدءاً من الإجراءات البيروقراطية «والفحص الأمني»، وصولاً إلى انتظار الموافقة والحصول على تصريح مُحدّد بمعايير ضيّقة ومتغيّرة. لكن الحصول على تصريح لا يعني بالضرورة السفر لأن «الأمن الإسرائيلي» قد يرفض عبور الفلسطينيين.

ووفق ما يذكره المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، فإن سلطات الاحتلال تفرض قيوداً مشددة على معبر «إيرز»، وتمنع معظم سكان القطاع من السفر، وتسمح لفئات محدّدة بالمرور، كالمرضى المحوّلين للعلاج في الخارج، والصحافيين الأجانب، والعاملين في المنظمات الدولية الإنسانية، والتجّار ورجال الأعمال، وأهالي الداخل الفلسطيني المحتل، وأهالي الأسرى في سجون الاحتلال والمسافرين عبر «معبر الكرامة» الأردني.

ورغم شمول هذه الفئات بإذن السفر، إلا أن العدو يسحب التصاريح فجأة من التجّار من دون إعطاء أي تفسيرات. إضافة إلى طول المدة التي تستغرقها معالجة الطلبات، فقد تستغرق معالجة طلب خاص لزيارة قريب مريض ما يزيد على 30 - 50 يوم عمل، مع احتمال عالٍ برفضه ببساطة. أما طلب المريض الذي يحتاج إلى العلاج أو إلى إجراء جراحة عاجلة فقد يستغرق ما يزيد على 23 يوم عمل.

**3%**

**من مياه قطاع غزة فقط صالحة للشرب، وفق ما افاد المرصد الاورومتوسطي والمعهد العالمي للمياه والبيئة والصحة، إذ إن أزمة الوقود وانقطاع الكهرباء المستمر يعيقان تشغيل آبار المياه ومحطات معالجة مياه الصرف الصحي، الامر الذي ادى إلى تصريف نحو 80٪ من مياه الصرف الصحي غير المعالجة في البحر، بينما تتسرب 20٪ منها إلى المياه الجوفية.**

وأفادت وزارة الصحة الفلسطينية في غزة (2021) بأن الإجراءات والقيود «الإسرائيلية» المشدّدة تجاه المرضى ومرافقيهم منعت نحو 60% من المرضى من الوصول إلى المشافي التخصصي. وتوفي إثر ذلك أكثر من 3000 مريض.

وخلال عام 2022، توفّي 8 مرضى على الأقل، من قطاع غزة، من بينهم 3 أطفال، نتيجة تأخير أو رفض السلطات «الإسرائيلية» منحهم تصاريح للخروج عبر معبر «إيرز» بهدف العلاج.

### معبر كرم ابو سالم

يستخدم الاحتلال معبر كرم أبو سالم، المخصّص لدخول شاحنات البضائع وخروجها من القطاع وإليه، كوسيلة ضغط اقتصادية وسياسية، فيتأثر عمله بشكل ملحوظ أو يغلقه العدو بشكل كامل في فترات التوتر السياسي والأمني وخلال العدوان العسكري على القطاع وبمناسبة الأعياد العبرية.

لكن القيود «الإسرائيلية» تمنع دخول عدد كبير من البضائع المدنية وأكثر من 115 مادة. وتشمل قائمة المواد الممنوعة: معدّات طبية، ومواد ضرورية لقطاع التعليم والصحة والزراعة والصيد والصناعة والبناء وإعادة الإعمار ومعدّات اتصالات وغيرها من السلع الأخرى بزعم أنها مواد «ثنائية الاستخدام» يمكن استخدامها في الأعمال العسكرية.

### «التنسيقات المصرية»: اسم لرشى مقنّعة

يُعدّ معبر رفح المتنفّس الذي يعتمد عليه الغزّيون بشكل أساسي في السفر إلى مصر وبقية الدول العربية. لطالما ارتبط فتح المعبر وإغلاقه بالتطورات السياسية والأمنية بين الكيان «الإسرائيلي» ومصر، حيث كان يُغلق لفترات طويلة ويُفتح استثنائياً، ومنذ عام 2018 يعمل المعبر بشكل شبه منتظم.

لكن الظروف المرتبطة بعملية السفر هي الأخرى معقّدة وصعبة، وتشمل التسجيل والانتظار إلى جانب عشرات الآلاف حتى يحين الدور. وقد تمتد فترة الانتظار لأشهر طويلة، وقد تصل إلى السنة أحياناً، ما يؤدي طول هذه الفترات إلى خسارة الكثيرين من أهل القطاع فرصاً أكاديمية ومهنية خارجه.

إلا أن إعطاء إذن السفر لا يعني أيضاً عن التعقيدات والإجراءات الطويلة التي يخضع لها المسافرون، فصلاة الانتظار المصرية مُهملة وغير مهيّأة للسفر واستقبال الأفراد، كما تُرمى الحقائب بشكل عشوائي. ويتخلل الانتظار الطويل في تلك الصالة من المعبر تحقيق مع المسافر تتفاوت مدّته بين شخص وآخر، بعدها يعبر إلى الجانب المصري، ويوضع المسافر إمّا في «غرف الترحيل» التي يُنقل منها مباشرة إلى المطار في مصر ويُمنع من مغادرتها لحين موعد الطائرة، أو يحصل على تذاكر باص للوصول إلى النقطة التي يريد الذهاب إليها على الأراضي المصرية. في حين أن الرحلة بين معبر رفح والقاهرة تحتاج إلى ست ساعات تقريباً، لكنها قد تمتد إلى نحو 12 ساعة، تتضمّن كل ساعتين تقريباً تفتيشاً مهيناً وتدقيقاً بالجوازات، كما تُفتح الحقائب وتُفرغ محتوياتها وتُقلّب مرّات عدة، وقد تشمل في أحيان كثيرة مبيتاً لليال في الطرقات من دون أي مقوّمات من طعام وأماكن مُعدّة لقضاء الحاجة. لا يقتصر الأمر على الإذلال والابتزاز المالي الذي يعيشه المسافر عبر معبر «رفح» بل، في الكثير من الأحيان، تُسرق منه أثناء عملية التفتيش أغراض مختلفة من ملابس وإلكترونيات وأموال.

أمام هذا الواقع، برز ما يُعرف بـ«التنسيقات المصرية» وهي أموال يدفعها الغزّيون، إضافة إلى تكاليف السفر الأساسية، مقابل تسهيل سفرهم عبر معبر رفح، أي عبورهم من الصالة الفلسطينية في المعبر إلى الصالة المصرية. لا تُعدّ التنسيقات المصرية سوى استغلال لحاجة الغزّاوي الماسّة إلى السفر، فيلجأ إليها على مضض أشخاص يرغبون في تسهيل سفرهم وتقليص فترة الانتظار، والممنوعون من السفر لأسباب مختلفة منها الأسباب الأمنية.

تحدث عملية «التنسيق» كالآتي:

- عبر الاتصال بسماسرة السفر والمعاونين في القطاع، حيث يقومون بالتنسيق للأفراد الراغبين في السفر عبر معبر رفح من خلال معارفهم بالضباط والقيادات المصرية التي تعمل في المعبر.

- عبر مكاتب خاصة للسفر في غزة، وتعمل الآن بشكل معلن، إذ تنشر وزارة الداخلية في غزة بشكل دوري أسماء «كشوفات التنسيق»، أي الذين قُبل طلب سفرهم.

تختلف قيمة «التنسيق» وفق درجة المنع من السفر والعمر والدرجة التي يسافر عبرها الغزّي، لكن الأكيد أنه لا يتم إرجاع المسافر ويعبر مباشرة إلى الجانب المصري ويعامل كأولوية.

تُعدّ قيمة «التنسيقات» خيالية في ظل نسبة فقر بلغت 61,6% في قطاع غزة، وبعد تواصل «القوس» مع أربعة مكاتب «للتنسيقات»، جاءت الأسعار والشروط لثلاثة منها كالآتي:

● تتراوح قيمة التنسيق للشخص البالغ في الدرجة العادية من 150 إلى 200$. ومجّاناً للأطفال دون الـ 12 عاماً.

● تبلغ قيمة «التنسيق الـ VIP» 450$ للشخص الواحد، وتشمل عبور المسافر بعد 24 ساعة من التسجيل وتكاليف الطريق والمعبر والجلوس في قاعة مختلفة داخل الصالة المصرية.

أي أن قيمة «التنسيق» لعائلة تتألف من أربعة أفراد تتجاوز 700$ تقريباً على الدرجة العادية، وتشمل تسهيل الموافقة على العبور، وتُستثنى من قيمة الرسوم الأساسية التي تُدفع في غزة، تضاف إليها الأموال التي تُدفع في الجانب المصري، وكلفة التنقلات، ومن ثم كلفة تذكرة الطيران للوصول إلى الوجهة الأساسية. أي أن قيمة ما يدفعه الغزّي لرحلة الذهاب فقط قد تتجاوز 2000$.

المكتب الرابع للتنسيق، يُعرف عنه علاقاته الوطيدة والقوية مع المخابرات المصرية وله فرع في مصر، تبلغ قيمة «التنسيق» من خلاله 500$ للدرجة العادية، و900$ للـ VIP. يضمن هذا المكتب المرور مباشرة، وعدم الترحيل وتسهيل الطريق والتقليل من التفتيشات التي يتعرض لها المسافر، وعمّالاً يحملون الحقائب. «أهم شي ما في بهدلة» يؤكد أحد الذين سافروا عن طريقه، طالباً عدم ذكر اسمه.

### الحصار بلسان اهل غزة

◄ معتصم (27 عاماً)، غزة:

«مصوّر صحافي، تأثّرت كغيري من أهالي غزة بشكل مباشر بالحصار المفروض. حاولت على المستوى الشخصي السفر أكثر من مرة، لكن الإغلاق المتكرّر لمعبر رفح حرمني من السفر ومن المشاركة في الدورات والتدريبات الخارجية مع المؤسسات العاملة في المجال الصحافي والإعلامي، وبالتالي فاتتني فرص كثيرة لاكتساب الخبرة والتطوّر على المستوى العملي». يشعر معتصم، كصحافي، بالخطر الدائم، فمعدّات الوقاية الصحافية من سترة ودرع وخوذة تكلّف ما يقارب الـ 3000$ -إن وُجدت- ويُضيف: «حاولنا إيجاد بدائل قماشية تقارب الـ 10$ لكنها دون جدوى. إلى جانب أن الاحتلال يستهدف المقارّ والسيارات الصحافية متعمّداً. إضافة إلى صعوبة توفير الإنترنت لتغطية العدوان على غزة. وبالنسبة إلى المعدّات فهي نادرة وأحياناً نحتاج إلى صيانة أجهزتنا وكاميراتنا وننفق على ذلك مبالغ كبيرة، فضلاً عن منع بعض الأجهزة والمعدّات بشكل نهائي من الدخول إلى قطاع غزة».

◄ فراس (31 عاماً)، دير البلح:

«أنا ربُّ أسرة وأبٌ لطفلين، أسكن شقة صغيرة جداً. وبشكل عام فإن السكن والبناء في قطاع غزة مكلف بسبب ارتفاع أسعار المواد الخام والبناء وصعوبة الحصول عليها بسبب الحصار. دمّر الاحتلال بعدوانه المتكرر على غزة الكثير من المنشآت والعمارات السكنية التي تؤوي الكثير من العائلات، ما أدى إلى ارتفاع أسعار الشقق أيضاً. أوجه صعوبة في توفير بعض المستلزمات، فقد شهدت الحياة المعيشية غلاءً ملحوظاً في الفترة الأخيرة بسبب فرض الاحتلال حصاراً على بعض المنتجات الغذائية والأساسية. كانت أمنيّتنا أن يلتحق طفلي هادي بروضة ذات برامج ترفيهية وتعليمية مميزة، لكن بسبب ارتفاع أسعار رسوم التسجيل في رياض الأطفال التي تكون مُتنفّساً في القطاع، لم نستطع أن نحققها ونشعر بالحسرة إزاء ذلك. أما السفر، فإني لم أستطع إليه سبيلاً بسبب فرض قيود على المنفذ البري وسياسة التنسيق والتكاليف الباهظة من الجانب المصري».

◄ داليا (24 عاماً)، بيت حانون:

«أنا طالبة تكنولوجيا معلومات (IT)، أحب تخصّصي جداً، لكن سوق عمله خارج القطاع، فإذا أردنا أن نعمل بمشاريع خارجية، عن بُعد، كالبرمجة والتصميم فمن الصعب تحويل بدل أتعابنا من الخارج، فغزة كالمنطقة المحظورة، من المستحيل أن نجد أحداً يقبل بأن يُحوّل الأموال إلينا، وهي نادراً ما تُحوّل عن طريق البنوك. ولنفترض أننا عملنا على برنامج يكلّف نحو 15 ألف دولار، فمن الممكن أن لا نُحصّل من المبلغ إلا جزءاً قليلاً بعد وصوله إلى القطاع عن طريق التحويلات بسبب الضرائب. كما أن هناك برامج وتطبيقات للبرمجة ممنوعة بسبب الحصار، لكننا نجد طرقاً خاصة للحصول عليها».

### تداعيات إنسانية كارثية

أدّت السياسات «الإسرائيلية» إلى آثار تدميرية على الفلسطينيين في القطاع، يمكن ملاحظتها عبر الإحصاءات الفلسطينية.

فقد بلغت نسبة البطالة في قطاع غزة 45%، وأصبح 61,6% من السكان فقراء في عام 2022، وبلغت نسبة غير الآمنيّ غذائياً 64,3%، كما يعتمد 80% من الأهالي على المساعدات الدولية.

على صعيد القطاع الصحي، تراجعت خدمات الرعاية الصحية في قطاع غزة بنسبة 66%، وتظهر أرقام وزارة الصحة الفلسطينية نقصاً حاداً في الأرصدة الدوائية، إذ وصلت إلى نحو 45%، فيما بلغت نحو 33% في المستهلكات الطبية.

بدورها أدّت أزمة الكهرباء في قطاع غزة إلى انعكاسات كارثية على عمل البلديات التي تتوقف محطات الصرف الصحي فيها عن العمل لساعات طويلة، ما أجبرها خلال الأعوام الماضية على تحويل مياه الصرف إلى البحر. كما توقفت أكثر من 80% من مصانع القطاع بسبب شحّ الطاقة. ووفق المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، فإن كمية الطاقة التي تصل إلى القطاع منذ بداية الأزمة لم تلبّ حتى نصف احتياجاته من الكهرباء.

### من بيروت إلى غزة.. التوحّش عينه

ليست العقيدة الأمنية العسكرية «الإسرائيلية» القائمة على استهداف المؤسسات الصحية أو إلغاء دورها، وقصف الأبنية السكنية ومراكز الرعاية الاجتماعية والتربوية والخدماتية، بالموازاة مع فرض حصار بري وبحري وجوّي ومنع دخول شاحنات الأغذية والمحروقات وإيقاع مجازر مروّعة، مقتصرة على قطاع غزة.

فقد خبرها اللبنانيون سابقاً يوم اجتاح جيش العدو «الإسرائيلي» بيروت في حزيران 1982، واستخدم في قصفه البري والبحري والجوّي كما في «حرب الرصاص المصبوب (2008)» مختلف أنواع القذائف العنقودية والانشطارية والفوسفورية و26 ألف طن من المتفجرات يوم «الأحد الأسود» (1 آب، 1982)، وعندما أغارت طائراته الحربية بشكل مكثّف على أحياء سكنية ومؤسسات صحية وتربوية، ويوم مُنع في 8 و16 تموز دخول شاحنات محمّلة بالطحين والمحروقات والخضر والمواد الغذائية، بالإضافة إلى قطع المياه والكهرباء. (راجع «القوس»، 4 حزيران 2022، «جرائم لا يمرّ عليها الزمن»).

إن الممارسات «الإسرائيلية» في كل محطاتها التاريخية انتهاك جليّ للقانون الدولي الذي أكد على تحييد المدنيين، وعدم استخدام الأسلحة المحرمة دولياً والقذائف العنقودية والفوسفورية، ومنع استهداف مراكز الخدمات الاجتماعية والتربوية والمستشفيات الطبية، وحظر تجويع المدنيين، كما أكد على الحق في التنقل، وغيره من الحقوق التي تكفلها اتفاقيات حقوق الإنسان والقانون الدولي.

لكن أمام مشهد سلب الحقوق المستمر، برز الشعبان اللبناني والفلسطيني منتزعين حقوقهما انتزاعاً لا استجداءً، ممارسين حقّهما الأسمى بالكفاح المسلّح ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

(من الويب)

> أمام مشهد سلب الحقوق المستمر، برز الشعبان اللبناني والفلسطيني ممارسين حقّهما الأسمى بالكفاح المسلّح ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي

### وثيقة «استهلاك الغذاء في قطاع غزة - الخطوط الحمر»

دراسة أعدّتها وزارة الحرب «الإسرائيلية» بالتعاون مع وزارة الصحة «الإسرائيلية»، استندت إلى احتساب الحدّ الأدنى من السعرات الحرارية التي يحتاج إليها الفلسطينيون في القطاع بغية تقييد الشاحنات وكميات الطعام التي تسمح بدخولها. ادّعى مسؤولون «إسرائيليون» بأنها مجرد ورقة ولم تُستخدم.




المصدر: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وفا، وزارة الصحة الفلسطينية

القوس
السبت 3 حزيران 2023 العدد 67

# حصار قطاع غزة

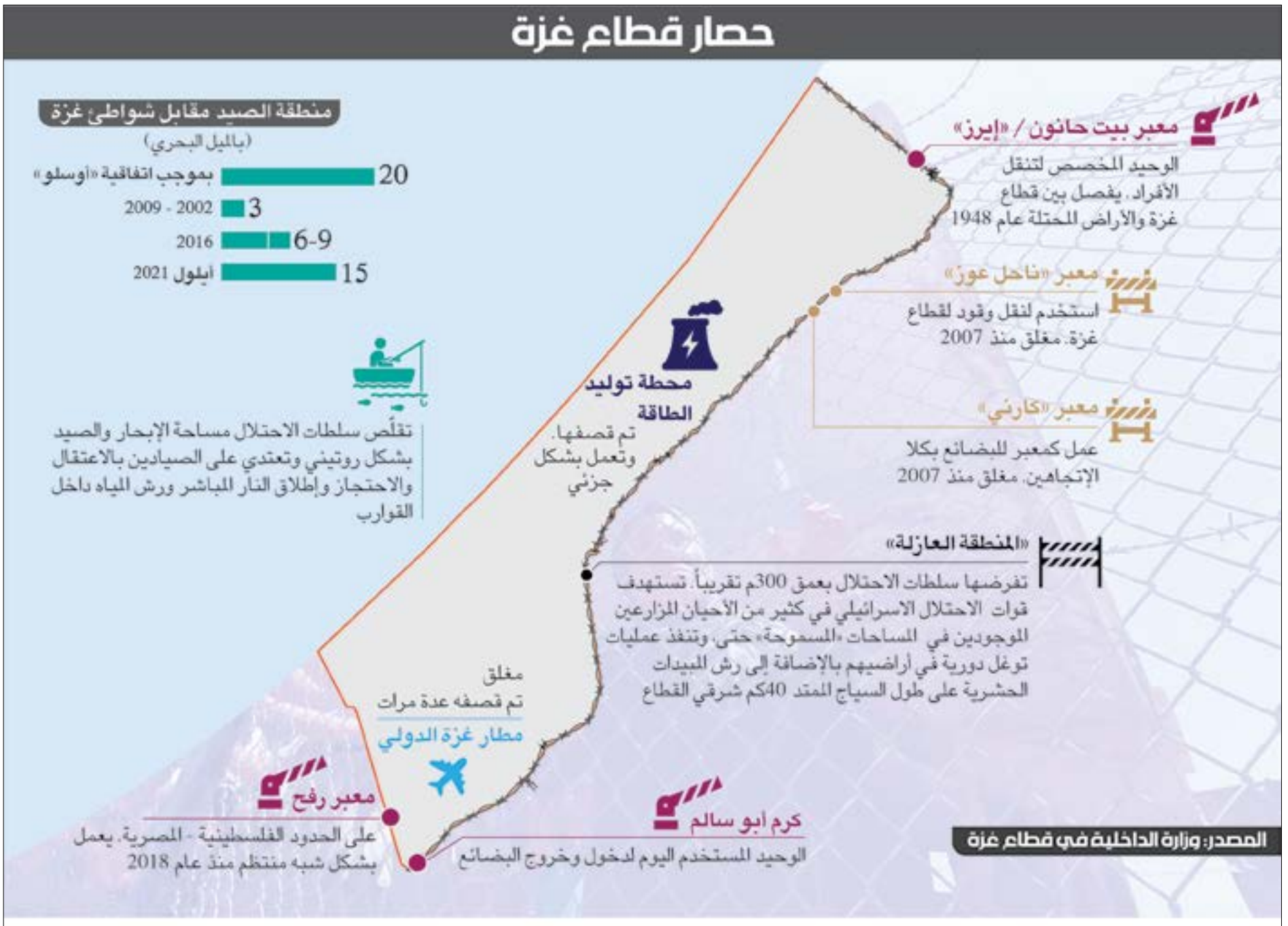


# قيود الاحتلال على حركة البضائع والسلع

تطول قائمة المواد التي يعدّها العدو الإسرائيلي «مواداً ثنائية الاستخدام» أو من «الكماليات» ويحظر دخولها إلى قطاع غزة، منها:

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com